الجمهورية الجزائرية الديمقراطية الشعبية

وزارة التعليم العالي والبحث العلمي

جامعة محمد بوضياف . المسيلة

كلية الآداب واللغات

قسم اللغة والأدب العربي

الرقم التسلسلي : .....

رقم التسجيل : 043106163

مذكرة مقدّمة ضمن متطلبات نيل شهادة الماستر تخصّص : أدب عربي حديث ومعاصر

بعنوان :

التوجّهات الإصلاحية في شعر حافظ إبراهيم

إعداد الطالبة :

رويبي ذهبية

أمام لجنة المناقشة المكوّنة من السّادة الأساتذة :

اسم ولقب الأستاذ	الرّتبة	الجامعة	الصّفة
محمّد زهّار	أستاذ	المسيلة	رئيسا
مصطفى بن عطية	أستاذ محاضر "أ"	المسيلة	مشرفا ومقرّرا
خالد وهّاب	أستاذ محاضر "أ"	المسيلة	مناقشا

السّنة الجامعية : 1439-1440 هـ / 2018 -2019 م

بسم الله الرّحمان الرّحيم

شكر وعرفان

قال الله تعالى:"لَئِنْ شَكَرْتُمْ لَأَزِيدَنَّكُمْ" سورة إبراهيم الأية 07

أحمد الله حمدا كثيرا وأشكره شكرا جزيلا ، هوالذي كان فضله وعطاؤه كريما أحمده لأنه سهّل لي المبتغى وأعانني على إتمام هذا العمل الذي أسأله أن يجعله خالصا لوجهه الكريم.

كما أتقدم بالشكر الجزيل إلى أعضاء اللجنة و أخص بالذكر المشرف الفاضل الدكتور "مصطفى بن عطية" الذي لم يبخل علي بنصائحه وإرشاداته .

و أتقدم بالشكر الجزيل إلى إدارة الأدب العربي و كل أساتذة قسم أدب عربي حديث و معاصر فوج 06 دفعة 2019/2017

مقدّمة

يعدّعصر النّهضة نقطة تحوّل في القصيدة العربية الّتي أثقلتها الأغلال منذ عصر الانحطاط، فوقعت أسيرة الصّنعة اللفظية والزخارف الجوفاء؛ حيث تبارى الشعراء في تطريز القصيدة والتلاعب بالألفاظ والكنايات والاستعارات، مما أثقل بناء القصائد وأذهب عنها بريقها وطلاوتها .

ثم بدأت تتعافى على يد أعلام بعثوا الشّعر من سباته، يمدّهم في ذلك رافدان أساسيان من روافد النّهضة الأدبية: أولاهما الاتصال بالحضارة الغربية الحديثة كالحملة الفرنسية والبعثات العلمية، وثانيهما إحياء التراث العربي العتيق بالعودة إلى الماضي الحضاري الزاهر للشّعر العربي في العصور الأولى، فارتقوا بالكلمة والعبارة عن الضعف والابتذال، وبالموضوع عن التّفاهة والتّكرار، وبالخيال عن التّقليد والجمود، وبالحيوية والعاطفة المتدفّقة عن البرود والجفاف.

ولقد ارتبط الأدب بشكل عام، والشّعر على وجه الخصوص بالواقع الاجتماعي والسياسي للشّعوب، فكان آلةً مصوّرة لحوادث الزّمان، وكان في معظم مراحله يواكب التغيّرات والمستجدّات السياسية وآثارها الاجتماعية.

ولقد انبرى لفيف من الشّعراء للدفاع عن قضايا مجتمعاتهم ودعوتهم إلى ما هو أصلح لهم، فبرز على الساحة الأدبية توجّهٌ أدبيّ إصلاحي. وهذا التوجّه من المواضيع التي يثير في الأذهان جملة من التساؤلات تقود إلى تفرعات شتّى:

ما دور الأدب في إصلاح المجتمع؟ وهل يملك الأدب سطوة بها يستطيع حماية البشر من الفساد ؟ و هل يبرر ذلك ظهور ما يعرف بالأدب الإصلاحي ؟

وما هي الحاجة إليه ؟ ثم كيف رأى حافظ إبراهيم هذا التوجه؟ وما مظاهر الإصلاح عنده؟ وهل وفق في ملامسة هموم وحاجات المجتمع الذي تناوله بالإصلاح؟

عندما تنقطع علاقة الإنسان بمنهجه القويم ويسيئ إعمال عقله فيسخره لأغراض دنيئة، وعندما تنقطع صلة الإنسان بينبوع المثل العليا، تسفل أهدافه فيبيح لنفسه أشد

السبل قذارة لأشد الأهداف انحطاطا، وعندما يعتلي الجهل قبة العقول عندها تتطاول أعناق الرذائل وتكون الغلبة لصاحب القوّة لا لصاحب الحقّ، فتعيش الأمّة أزمة حضارية.

إنّ الأدبَ الإصلاحيَّ يستطيع أن يصوّرَ مشكلة اجتماعية بشكل دقيق وهذا التشخيص الشامل لمأساة اجتماعية يُعدُّ اللّبنةَ الأولى في صرح الإصلاح ولابدّ أن تعقبها مراحلُ متتاليةٌ لاكتماله.

وما دعاني إلى اختيار هذا الموضوع أسبابٌ عدّةٌ منها :

إنّ الشّعر الإصلاحي من المواضيع الأدبية النبيلة الّتي ترمي إلى إصلاح أوضاع النّاس وغرس مكارم الأخلاق الّتي دعا إليها أولو الأحلام والنّهى .

إنّ حافظ إبراهيم عَلَمٌ من أعلام الشّعر العربي وهو ذو عصامية واضحة ، لم يولد وملعقة الذّهب في فمه ، وإنّما هو مثال للّذي يتخطّى الصّعاب منذ الصّغر ليشقّ طريق المجد

إنّ حافظ إبراهيم يعدّ منبعا صافيا لم تشبه شائبة الاحتكاك بالغرب فهو غير مدين للآداب العالمية ، وإنّما ثقافته مستمدّة من المنابع الأصيلة للأدب العربي .

وحتّى ترتكز الدّراسة على قواعد سليمة ارتأيت اتخاذ خطة قوامها مقدمة وثلاثة فصول وخاتمة ، إذ تناولت في الفصل الأول دعوات الإصلاح في الأدب العربي كأرضية نستشف منها ماهية الإصلاح ثمّ الشعر الإصلاحي قبل عصر النهضة وبعدها ، واتخذت عصر النهضة فاصلا زمنيا عبر المسارالتاريخ للأدب الإصلاحي وذلك لما يمتاز به عصر النّهضة من خصوصيات ينفرد بها عن بقية الأعصر .

أما الفصل الثّاني فقد أفردْتُهُ بدراسة حياة الشاعر من حيث النّشأة الّتي شكّلت شخصية حافظ ثمّ الوفاة واختتمته بإلقاء وَمْضَة على مؤلفاته الأدبية الّتي كانت مزيجا من الإبداع الشّعري والإبداع النثري والأدب المترجم .

بالنسبة للفصل الثالث والمعنون بقضايا الشّعر الإصلاحي عند حافظ إبراهيم فقد ركّزتُ

علـى أهـمّ المحـاور الاجتماعيـة الّـتي عالجـها حافظ إبراهيم فـي شعـره .

ولقد اقتضت طبيعة مضامين البحث الاستعانة بمنهج وصفي تحليلي رأيتُ أنّه الأنسبُ لمثل هذه الدراسات بغيةَ التوصّلِ إلى فهم التوجّـه الإصلاحـي لحافظ إبراهيم من خـلال قصـائده وهـذا المنهـج يتفــرّع إلـــى :

المنهـج الوصفـي الكرونولـوجـي والّذي استعملته فـي تتبّـع مراحل حياة الشاعر ومعرفة مـدى تأثّـره بمـن سبقوه من الأدباء كما وظّـفته في تتبّـع مسيرة الشعر الإصلاحي عبر العصور.

المنهـج التحليـلي الّـذي استعملـته فـي دراسـة وتحليل القضـايا الفكريـة والتربويـة والاجتماعيـة انطـلاقـا مـن مفهوم حافظ إبراهيم للإصـــلاح .

وفيمـا يتعلّـق بمـادّة البحث فقد استنـدت على جملـة من الدراسات والمصـادر أخصّ بالذكر ديـوان الشاعر حافظ إبراهيم وكتـاب الأديب طـه حسين الموسوم بـ – حافظ وشوقي – كمـا استعنـت بكتـاب للأستـاذ بدوي أحمد طبانـه والخـاص بحياة شاعـر العراق معروف الرّصافي

وفي الأخير أسأل الله الكريم التوفيـق فـي عملي هذا ، كما لا يفوتني أن أشكر لأعضاء لجنـة المناقشـة تفضلهم قراءة هذا البحث وإسداءهم ملاحظات وتصويبات أسدّ بها ثغرات هذا البحث المتـواضـــع .

الفصل الأول : دعوات الإصلاح في الأدب العربي

1-ماهية الإصلاح

2-الشعر الإصلاحي قبل عصر النهضة

3-الشعر الإصلاحي في العصر الحديث

أولا : ماهية الإصلاح:

منذ أن وجد الإنسان على ظهر هذه البسيطة وجد الصراع بين الحق و الباطل و لكل حزبه . وهناك من يدعي الإصلاح وهو في حقيقة الأمر ضال مفسد . ألم يقل إمامهم من قبل : ﴿قَالَ فِرْعَوْنُ مَا أُرِيكُمْ إِلَّا مَا أَرَى وَمَا أَهْدِيكُمْ إِلَّا سَبِيلَ الرَّشَادِ ﴾ سورة غافر الآية 29 ولم يكتف بهذا فقط بل رمى بالفساد من يحمل راية الإصلاح فقال: ﴿إِنِّي أَخَافُ أَنْ يُبَدِّلَ دِينَكُمْ أَوْ أَنْ يُظْهِرَ فِي الْأَرْضِ الْفَسَادَ﴾ سورة غافر الآية 26.

وعلى مرّ العصور توالت حركات الإصلاح متخذة أشكالا عدّة يجمعها حديث الرسول صلّى الله عليه وسلّم : " من رأى منكم منكرا فليغيره بيده فإن لم يستطع فبلسانه فإن لم يستطع فبقلبه و ذلك أضعف الإيمان " [1]

وهذه سنّة الله في خلقه فمن المصلحين من يقوّم الاعوجاج بقوة اليد أمثال القادة حسب مستوياتهم ، ومنهم من يتّخذ اللسان والقلم وسيلة للتغيير ويحمل مشعل هذا التغيير الخطباء والبلغاء والأدباء ، والصنف الأخير هم الطبقة الكادحة التي لاتزال بقية خير في قلوبهم فلم ترض بالمنكر ولكن أقعدهم العجز على اتخاذ مبادرات فاكتفت بإنكار ذلك قلبيا وقد قال القاضي عياض : " هذا الحديث أصل في صفة التغيير فحق المغير أن يغيره بكل وجه أمكنه زواله به قولا كان أو فعلا ..."[2]

وقبل التطرّق إلى دور المصلحين الأدباء و نخصّ بالذكر الشعراء منهم الذين أسهموا بتراثهم الشعري في سبيل إصلاح ما تعاني مجتمعاتهم من المفاسد الاجتماعية و الأخلاقية يستوجب علينا تعريف الإصلاح .

---

[1] أبو زكريا يحي بن شرف الحزامي النووي، شرح صحيح مسلم، الطبعة الأولى ، المطبعة المصرية بالأزهر مصر 1929 ، الجزء الثاني، ص 21

[2] المرجع نفسه ، ص 25

تعريف الإصلاح :

1 تعريف الإصلاح لغة :

من فعل أصلح وهو ثلاثي مزيد بحرف (الهمزة) مجرده : صلح .

صَلَحَ – يصلَح (بفتح اللام) – يصلُح(بضم اللام) – صَلاَحا و صُلُوحا .

الصلاح ضد الفساد[1].

الإصلاح نقيض الإفساد .

2 تعريف الإصلاح اصطلاحا :

تعددت مفاهيم مصطلح " الإصلاح " حسب الزاوية التي ينظر إليها كل فن إلى هذا المصطلح .وعليه فإن هناك من عرفه بما يلي: الإصلاح هو" تغيير صادق نحو الأفضل يتمّ عن طريق حصر أهداف جديدة وتحديد مسار جديد وطرائق عمل جديدة من أجل بلوغ درجات أعلى من الفاعلية والنجوع ". [2]

وعليه فإنّ الإصلاح هو فكرة خاصة بالعمل على مواجهة خلل معين في النّسق الفكري أو الاجتماعي أو الثقافي أو السياسي قياسا إلى إطار مرجعيّ يُتّخذ كنموذج يُحتذى به

ولقد تعدّدت طرقُ الإصلاح بتعدّد مرجعيات المصلحين وما يهمّنا في هذا هو الأسلوب الأدبيّ الّذي ينتهجه المصلح ونخصّ بالذكر الشعر الإصلاحي .

فالشّعر الإصلاحيّ هو ذلك الشّعر الّذي يقف راصدا لأهمّ تموّجات المجتمع الّذي يعيش أفراده بعفوية وبساطة ، فنجد الشّاعر الحامل للواء القومي الّذي ينتمي إليه يصوّر هذه الحياة بكل جوانبها من عادات و تقاليد و مبادئ وأعراف وكل القيم التي تميّز مجتمعه من خلال ترسيخها في الذّاكرة الجماعية .

فالشّاعر هو المترجم الأمين عن اهتمامات المجتمع وآماله ناقلا إياها بأسلوب فنيّ

[1] أبو الفضل محمد بن مكرم جمال الدين بن منظور، لسان العرب، مادة صلح، دار المعارف، القاهرة، مصر، ص 2479

[2] بدر الدين بن تريدي، قاموس التربية الحديث، عربي إنجليزي فرنسي، منشورات المجلس الأعلى للغة العربية، الجزائر، 2010، ص 58

وإبداعيّ ناسجا شعره وفق دعامتين مهمتين أولاهما الجانب الإصلاحي الّذي يرمي إليه الشّاعر والمتمثل في معالجة جلّ اهتمامات الفرد ومقوّمات المجتمع ، وثانيهما الجانب الفنيّ الّذي من خلاله يبرز الشّاعر إمكانياته اللّغوية وخيالاته الواسعة حتّى يكون وقعُها على المتلقي مؤثّرا .

ولكي نستلّ الشّعر الإصلاحي من بقية الأغراض الأدبية لابدّ أن يتّصف هذا الشعر بجملة من المميزات وهي :

خصائص الشعر الإصلاحي :

يكتسي الشّعر الإصلاحيّ طابعا يميّزه عن الأنواع الشعرية الأخرى فهو يتميز بخصائص يمكن تقسيمها إلى فئتين :

من حيث المضمون:

.إنّه شعرهادف يرمي إلى إصلاح الأوضاع الاجتماعية السيّئة عن طريق تشخيص الداء كمرحلة تسبق أيّ إصلاح فهو" عمل تقييمي تشخيصي لمعرفة العوائق والعراقيل التي تحول دون تحقيق الأهداف"[1] ، ثمّ ضبط أسبابه مع وصف العلاج الناجع .

.اعتماد أسلوب الإقناع وذلك بـ :

- إجراء موازنة بين نتائج التمادي في الغي
- تعريف الناس بحقوقهم و سبل المطالبة بها
- لفت الانتباه إلى ما أحرزته الشعوب المتقدّمة
- اعتماد أسلوب الترغيب و الترهيب

من حيث الفن و الإبداع :

- استخدام اللغة البسيطة التي يستوعبها الفرد البسيط
- استخدام الألفاظ النّافذة إلى قلب القضية المعالجة

[1] بدر الدّين بن تريدي ، مرجع سابق ، ص 58

- استعمال الموروث الثقافي الاجتماعي
- اعتماد النّمط القصصي
- الاعتماد على التواصل الشعري المبني على الحوار السردي للأحداث
- مخاطبة العواطف

تلك الخصائص السّابقة الذكر إن هي إلا وسيلةٌ لعزل الشعر الإصلاحي عن بقية الأغراض لأنّ بعضَها شديدُ الشبه بالشعر الإصلاحي حتّى أنه يصعب التفريق بين الشعر الإصلاحي والشعر السياسي مثلا لذا يرى بعض المفكرين الأدباء أنّه " ليس التفريق بين ما هو من السياسة وما هو من الإصلاح بالأمر الهيّن . بل إنّ التفرقة تكاد تكون تفرقة تعسفية أو اصطلاحية ، فكلّ حركة إصلاحية تخدم هدفا سياسيا في حقيقة الأمر ، وكل نهج سياسي يمكن أن يوصف بأنّه حركة إصلاح ... ولكنّ العرف جرى على إدخال ما يتصل بتنظيم الدولة وعلاقتها بغيرها من الدّول الأخرى في نطاق السياسة ، بينما أُطلق اسم الإصلاح على البرامج التي ترمي إلى رفع مستوى الشعب وتحسين حاله في شتّى نواحي الحياة ولذلك اقترن اسم السياسة في الأذهان بالسلطة و الحكم والتطاحن والمغامرة ، في الوقت الّذي لا تثير فيه كلمة (الإصلاح) إلاّ التفكير الهادئ الّذي يتّسم بالاتزان والإنصاف. "[1] وخلاصة ما سبق فإنّ الشاعر الّذي يتصدى لإصلاح مجتمعه لايكفيه أن يتحلّى بالمواصفات السّابقة ما لم يندمج في مجتمعه قلبا وقالبا حتّى تخرج كلماته زفرات تأسر القلوب و تؤثّر في النفوس ولقد قال الأديب زكي مبارك : " ولكم بعد هذا أن تراجعوا حظوظ من عرفتم من الأدباء ، فسترون أنّ أبلَغهم أثرا في أنفس الجماهير، وأقدَرهم على أسْرِ القلوب و غزو العقول وامتلاك النّفوس هم الأدباء الّذين ابتلتهم الحياة بصنوف

[1] محمد محمد حسين، الاتجاهات الوطنية في الأدب المعاصر، الطبعة الثالثة، المطبعة النموذجية الحلمية الجديدة، 1980، الجزء الأول، ص 224

الأرزاء ، وعرفوا كيف تقسو الدّنيا وكيف تلين ، أولئك هم الّذين يكتبون وفي كل حرف سرّ ظاهر أو غرض دفين. " [1]

[1] زكي مبارك، رسالة الأديب، منشورات وزارة الثقافة، دمشق، الجمهورية العربية السورية، 1999، ص 29

ثانيا : الشعر الإصلاحي قبل عصر النهضة

الأدب وجه من وجوه الوعي الاجتماعي الّذي يعيش فيه الإنسان ، يرتبط بالحياة وبأساليب العيش ، فيستوعب قضايا وجود الإنسان ومشكلاته وصور علاقاته الاجتماعية وانفعالاته في إطار الوعي التاريخي . وما الشّعر إلاّ أحدُ أشكال هذا الأدب في أرقى صورة التي تغني روح الإنسان وتسمو بها إلى الأجمل والأنبل والأفضل

وللشعر نفسه ميادين متنوعة وأغراض شتّى منها الشعر الإصلاحيّ الّذي يتناول بشيء من التفصيل والتحليل قضية من قضايا المجتمع ، والحقيقة أنّ الشعر كلّه لا يخلو من أثر للمجتمع الّذي ينبثق منه ، ولكن لانعدّ في المفهوم الحديث قصيدة إصلاحية إلا إذا تناولت موضوعا يهمّ حياة النّاس اليومية العادية ، كالعدالة الاجتماعية ونشر التّعليم ومشاكل العمل والبطالة ومحاربة الفساد والانحلال الخلقي والفوارق الطبقية ومشكلة الفقر والجهل والمرض والحثّ على الإصلاح وذلك عن طريق تشخيص الدّاء وتحديد سببه ووصف العلاج الناجع له .

غير أنّ الهدفَ الإصلاحيَّ بمنهجه الشّامل لم يتجسّد إلاّ في العصر الحديث أمّا فيما سبق من عهود فلم يكنِ الشّعر الإصلاحيّ غرضا مستقلا قائما بذاته لأنّ الحياة كانت تتميّز بالبساطة فخلت من المشاكل الكبرى والقضايا العويصة الّتي تعيشها المجتمعات في الوقت الحاضر .

في العصر الجاهلي :

وردت في العصر الجاهلي أبياتٌ متفرّقة تناولت مواضيع لها صلة وثيقة بحياة النّاس الاجتماعية ، فقد كان الفقر وقتئذ وَصْمَةَ هوان حيث شكاه الشعراء الصعاليك فنجد مثلا الشّاعر عروة بن الورد يصف مكانة الفقير في المجتمع قائلا:[1]

دَعِيني للغِنى أسعى فإنّي ... رأيتُ النّاسَ شرُّهمُ الفقيرُ

[1] عروة بن الورد، الديوان، تحقيق أسماءأبوبكرمحمد،دارالكتب العلمية، بيروت، لبنان، 1998، ص79

وأبعدُهم وأهونُهم عليهم ... وإنْ أمسى له حَسَب وخِيـرُ

ويقصيه النّدي وتَزْدريـهِ ... حليلتُه وينهَرُه الصغيـــرُ

كما سجّل صاحب المعلّقة زهير بن أبي سُلمى ظاهرة إيجابية يجسّدها بذل الموسرين من أموالهم لإعالـة الفقراء حيث يقـول : [1]

إذا السّنةُ الشّهباءُ بالنّاس أجْحَفت ... ونالَ كرامَ المال في الجَحرة الأكلُ

رأيتُ ذوي الحاجاتِ حول بيوتِـهم ... قطِينًا بها حتّى إذا نبَتَ البقْــلُ

في صـدر الإسلام وعصـر بني أميّة :

نظم الشعراء في هذا العصر وأفصحوا عن آراء وتوجّهات إصلاحيـة تخصّ بعـض القضـايا ذات الصبغـة الاجتماعيـة مثل نظـرة المجتمـع إلـى المرأة والتـي كانت نظرة احتقار وازدراء فنجد على سبيل المثال الشاعر معن بن أوس لايوافق مجتمعه على تلك النظــرة الشـزراء للمــرأة فيقـول : [2]

رأيتُ رجـالاً يكرَهون بناتِهِم ... وفيهنّ –لاتُكذَبُ– نساءٌ صوالحُ

وفيهنّ والأيامُ تعثرُ بالفتـى ... عـوائدُ لايمْلَـلْنَـه ونـوائـــحُ

أماالشّاعر المقنّع الكندي فقد تطرّق إلى داء خطير ينذر بهلاك الأمّة ألا وهو داء البخـل حيث قام يحـرّض البخـلاء مـن التـداوي من هذه العلّة قـائـلا :[3]

إنّي أُحـرِّض أهلَ البخـلِ كلَّهـــم ... لو كان ينفع أهلَ البخلِ تَحريضي

لن تُخْرَجَ البِيضُ عَفْوا من أَكفِّهم ... إلاّ على وجــعٍ منهـم وتَمريـــض

كأنّها من جلود الباخلين بها ... عند النوائب تُحذَى بالمقاريض

غيـر أنّ بعضَ الشّعراءِ لم يكتفوا بالتطرّق إلى الآفات الاجتماعية ذات الأثر المحدود وإنّما تطرّقوا إلـى مستويات عليا وذلك بتنبيـه خليفـة المسلميـن بما يصـدر عن بعض المسؤولين

[1] زهيربن أبي سُلمى، الديوان، تقديم علي حسن فاعور، دارالكتب العلمية، بيروت، لبنان،1988، ص 86

[2] معن بن أوس، الديوان،صنعة نوري حمودي قيسي، مطبعة دار الجاحظ، بغداد، 1977، ص85

[3] أبو الفرج الأصفهاني علي بن الحسين ، كتاب الأغاني، دار إحياء التراث العربي، بيروت، لبنان ، الطبعة الأولى،الجزء17، 1994، ص75

علـى شـؤون الرّعيـة مـن تصرفـات سيّـئـة ، ومـن هـؤلاء نجـد الشّـاعـر كـعب الأشقري يحذّر الخليفـة العادلَ عمرَ بن عبد العزيز من بعض عمّاله الذين يعيثون في الأرض فسادا فقال:[1]

إنْ كنتَ تحفظُ ما يَليك فإنّما ... عُمّالُ أرضِك في البلاد ذِئـابُ

لن يستجيبوا لِلّذي تدعو لـه ... حتّى تُجلّدَ بالسيـوف رِقابُ

ولكن على الرّغـم مـن تنـاول الشّـعـراء هـذه الجـوانـب السلبيـة بالنّقد فإنّهم لم يجعلـوا منـها مشاكلَ عامـةً وقضـايا اجتمـاعيـة شموليـة تحتـاج إلـى إصـلاح .

في العصـــر العبّــاســي :

واصل الشّعراء سيرهم في نظم مقطوعات شعرية يمكن إدراجـها فـي خـانة المحاولات الإصلاحيـة إلاّ أنّها ظلّـت تفتقـر إلى التحليل العميق والرؤيـة الفاحصـة التـي تمكنـها من إعطـاء صـورة عن الوضـع الاجتماعـي في هذا العصـر. وكان قصـارى جهدها أن ركّـزت على وصف الجبنـاء والفقـراء والطفيليين . وعليه فالسّمة الغالبة لهذا النّوع من المقطوعات هي الخصـوصية لا العمـومية إذ تصلـح أن تبـرز صـورة منعزلة عن حياة بعض الأشخـاص ولا يمكن لها بحـال من الأحوال أن تقدّم صـورة شاملـة عن وضـع اجتمـاعـيّ ما يتطـلـب إصـلاحا عميـقا .

ونـذكر على سبيل المثال إحدى أبيات الشاعر العباسي أبي فرعون الساسي الذي قصر حديثـه على الفقـر فـي وصـف حـال أولاده وهـم جِيـاع فقــال:[2]

وصبيةٍ مثل فـراخ الذرّ ... سود الوجـوه كَسَـوادِ القِـدرِ

[1] كعب بن معدان الأشقري، شعر كعب بن معدان الأشقري، الطبعة الأولى، تحقيق أحمد محمد عبيد، دار الكتب الوطنية، أبوظبي،الإمارات العربية المتّحدة، 2010، ص 18

[2] إبراهيم النّجار، شعراء عبّاسيون منسيون، الجزء الثاني، دار الغرب الإسلامي، بيروت، لبنان،1997، ص 81

جاء الشّتاءُ وهم بِشَرٍّ ... بغير قُمصٍ وبغير أُزْر

حتّى إذا لاح عمودُ الفجر ... وجاءني الصّبحُ غَدوتُ أَسري

وبعضُهم ملتصقٌ بصدري ... وبعضهم مُنْجَحِرِ بحِجْري

أسبقِهم إلى أصول الجُدُر ... هذا جميعُ قصّتي وأمري

أنا أبو الفقر وأمّ الفقر

وهذا ابن الرّومي يبدع في وصف حمّال أعمى يعيش بين أغنياء فيقول : [1]

بين جِمالات وأشباهِها ... من بَشَر ناموا عن المجد

أضحى بأخزى حالةٍ بينهم ... وكلُّهم في عِيشة رغد

وكلّهم يصْدِمُه عامدا ... أو تائهَ اللّبِّ بلا عمد

كما تعرّض ابن الرّومي إلى مسألة تنّكر النّاس لأهل الفضائل والنّهى وتزلّفهم للسّفلة من من النّاس حيث قال : [2]

نحن أحياء على الأرض وقد ... خسف الدّهرُ بنا ثم خسفْ

أصبح السّافل منا عاليًا ... وهوى أهلُ المعالي والشرفْ

يسفُل النّاس ويعلو معشرٌ ... قارَفوا الأقرافَ من كل طرفْ

ولعمري إنْ تأمّلناهُم ... ما عَلوا لكن طفوْا مثل الجيفْ

كما انتقد العتّابي جوانب من نقائص عصره ومفاسده . فكان شعره مرآة لمجتمعه الّذي لم يول اهتماما لأهل العلم والأدب ،لكنّه كسائر الشعراء لم يجرد هذه المفاسد من النظرة الفردية ليجعل منها قضية اجتماعية تتطلب التغييروالإصلاح.

وقدّم العتّابي صورة من صور تهكّم النّاس بأهل العلم وتفضيلهم لأصحاب المال والجاه

[1] ابن الرومي، ديوان ابن الرومي، الطبعة الثالثة، شرح أحمد حسن بسج ، دار الكتب العلمية ، بيروت ، لبنان ، 2002 ، الجزء الأول ، ص 452

[2] المرجع نفسه ،الجزء الثاني ، ص 411

فأنشد قائلا: [1]

يا قاتلَ الله أقواما إذا ثـقـفـــوا ... ذا اللّبّ ينظرُ في الآداب والحكمِ

قـالوا وليس بهـم إلاّ نـفـاستُــه ... أنـافـعٌ ذا من الإقتــار والعَــدَم

وليس يدرون أنّ الحظّ ما حُرِموا ... لحاهـم الله من علـم ومن فَهـمِ

وفي أواخر العصر العباسي تزداد الأوضاع الاجتماعية سوءًا نتيجة الأوضاع السياسية حيث تكالب الحكام على خيرات وممتلكات الرّعيّة فتـأزّم الوضـع وساءت أحـوال النّــاس فجاءت فترة المماليك الّتي وقّت لعصرالضعف بمجيئهم ثمّ أعقبها حكم الأتراك.

وفي خضمّ هذه التحوّلات السياسية الّتي أفرزت وضعا معيشيا صعبا نجد أغلب ما تناوله الشّعراء هو تردّي حال النّاس وانتشار الآفات الاجتماعية ، فنجد مثلا ابن دانيال يصف معيشته المزرية في قصيدة عارَض بها معلّقة طرفة بن العبد في كثير من السخرية والفكاهة فقال:[2]

أصبحتُ أفقرَ من يروح ويغتدي ... ما في يدي من فاقتي إلاّ يـــــدي

في منزل لم يحو غيري قاعدا ... فمتى رقدت رقدت غيـر ممـــــــدد

لم يبق فيه سوى رسوم حصيرة ... ومخـــــدّة كانــت لأم المــهتــدي

والبقّ أمثال الصراصر خِلْقــة ... من مُتهم في حشوها أو مُـنـجـــد

وكذا البعوض يطير وهو بريشه ... فمتـى تمكّن فوق عـرق يفـصـــد

حشرات بيت لوتلقّــت عسكــرا ... ولّــى علـى الأعقــاب غـيـر مــردّد

كمانجد الشّاعرَ ابنَ الوردي يصف تبرّم النّاس من أمراء السّوء الّذين عاثوا في الأرض فسادا وذاق النّاس منهم كثيرا من النصب والاحتيال خصوصا من الّذين يتظاهرون

[1] أبو الفرج الأصفهاني ، المرجع السابق ، الجزء 13 ، ص 82.

[2] تغريد وضّاح مصطفى كوني ، المجتمع المصري في شعر شمس الدين بن دانيال الموصلي ، رسالة ماجستير ، إشراف رائد مصطفى عبد الرحيم ، جامعة النجاح الوطنية، نابلس ، فلسطين، 2013، ص 55

بالتقوى والصلاح فقال : [1]

قد عجبنا لأمير ... ظلم النّاس وسبحْ

فهو كالجزّار فيهم ... يذكرُ الله ويذبحْ

وهذا صاحب البردة البوصيري يوجّه انتقادا للقضاء الّذي لم يستقم على جادة الصواب فيراه غارقا في الضلال حيث قال : [2]

تحيّلت القضاة فخان كلٌّ ... أمانته وسمَّوْه الأمينا

وكم جعل الفقيهُ العدلَ ظلمًا ... وصيّر باطلا حقّا مبينا

وما أخشى على أموال مصر ... سوى من مَعْشر يتأوّلونا

[1] نيفين محمد شاكر عمرو، السّخرية في الشّعر في العصر المملوكي الأول، رسالة ماجستير، إشراف علي عمرو، جامعة الخليل، 2009، ص 93

[2] المرجع نفسه ، ص 103

ثالثا : الشعر الإصلاحي في العصر الحديث

في العصر الحديث شاع الأدب الإصلاحي وأصبح أمرا مألوفا يساير التغيّر الاجتماعي والسياسي الّذي طرأ على الأمّة حتّى أنّ بعض الشعراء كان معظمُ شعره تربويا إصلاحيا ولقد برز في مصر قُطْبَا أدبِ الإحياءِ أحمد شوقي و حافظ إبراهيم كما سطع نجم خليل مطران في الشّام أمّا في العراق فقد اشتهر معروف الرّصافي وفي المهجر إيليا أبو ماضي أمّا في الجزائر فقد ذاع صيت محمد العيد آل خليفة .

ومردّ بروز هذا الجيل من الشعراء إحساسهم باندماجهم في مجتمعاتهم يتألّمون لألامهم فأثمر ذلك نقلة حضارية وإبداعا أدبيا ، " كان من مظاهر النّهضة الحاضرة في الدّيار الشرقية إحساس الفرد أنّه لايعيش لنفسه وإنّما هو عضو في هذا المجتمع عليه أن يشعر بما يشعر به غيره ، وكان لهذا المعنى أثرُه في نفوس الشعراء في هذه النهضة ." [1]

وقد سلك هؤلاء الشعراءُ مسلك القضايا الاجتماعية بدافع إصلاحيّ تربويّ حيث وُفِّقوا في الوصول إلى مكمن الأمراض فشخصّوا الدّاء ووصفوا العلاج الناجع آملين في تحقيق الفضائل واجتناب الرذائل .

ولكل شاعر منهجُه في ذلك فمنهم من اعتمد على الأسلوب المباشر في نقد بعض التصرّفات غيرِ السليمة في مجتمعاتهم فكانت قصائدُهم تندرج تحت إطار المواعظ كما جاء عند الشاعر محمّد العيد آل خليفة وهو يتعرّض إلى آفة الخمر قائلاً : [2]

الخمرشربة رجس أم أرجاس ... الخمر صاعقة تهوي على الراس

الخمر محنة سوء من أصيب بها ... أصيب في كل وعي منه حساس

يا شاربَ الخمر ما ترجوه من دون ... للعرض غول عقول لص أكياس

ما الخمرُ إلاّ ظلامٌ للنفوس فلا ... يغررك منها شعاع لاح في الكاس

---

[1] بدوي أحمد طبانه، معروف الرّصافي دراسة أدبية لشاعر العراق وبيئته السياسية والاجتماعية، الطبعة الأولى، مطبعة السعادة بجوار محافظة مصر، 1947،ص 136

[2] محمد العيد آل خليفة، الديوان، دارالهدى، عين مليلة، الجزائر،2010، ص256

وكيف تُطفِئ نِبراسا حبا ك به ... ربُّ البرايا وتبقى دون نِبـــراس

فَحَطِّمِ الكاسَ واهجرْ كلَّ رفقتها ... تعشْ وتأمــنْ أَلْــسُــنَ النَّـاس

ففي هذه الأبيات يُحذّرُ الشاعر من آفة الخمر وعواقبِها على الأسرة فهي تخرّبها وتذهب بالسكينة والطمأنينة كما أنّها مِعولُ هدم للعقل البشري الّذي حبانا الله به ، فنجد الشاعر يوجّه خطابه الدعويَّ بأسلوب مباشر لا يلتبس على أحد.

وهناك فريق من الشعراء اعتمد على الأساليب غير المباشرة في خطابهم الإصلاحيّ معتقدين بهذا النهج لما له من قدرة على تجسيد الحقائق قد تخفى على كثير من الناس. ومن أمثلة ذلك قصيدة "الطّين" لإليا أبي ماضي والتي تعرض فيها إلى بعض السلوكات البشرية المذمومة ألا وهو التكبّرو التجبّر فهو يدعو المتغطرسين للتواضع من خلال تبيان جملة من النقاط التي حَوَتها القصيدة ذات الثلاثة والثلاثين بيتا حيث اشمأزّ الشّاعر من تطاول الإنسان وتمرّده بسبب ماله وجاهه ثمّ ذكر مجموعة من المفارقات العجيبة والتساؤلات ليختم قصيدته بالدّعوة إلى التسامح والإخاء.

كما نجد الشّاعر في جانب آخر يتطرّق إلى قضية أخرى تتعلّق ببعث الأمل في نفوس النّاس الّذين طغت فيهم السلبية حيث تناول الشاعر في قصيدة "الحجر الصغير" هذه المسألة والتي أثار فيها قضية بناء المجتمع الذي لا يتمّ إلاّ بالتعاون بين جميع أفراده ، ولا يمكن بأي حال من الأحوال أن نستغني عن أي فرد مهما كانت مكانته ودرجته في هذا المجتمع ، وقد حاول الشاعر محاربة هذه السلبية فقال:[1]

سمع اللّيل ذو النّــجــوم أنينا ... وهــو يغشى المدينة البيضاء

كان ذاك الأنين من حجر في السـ ... ـدّ يشكو المقادر العمياء

أيّ شأن يقول في الكون شأني ... لست شيئا فيه ولست هباء

ومِن الشّعراء مَنْ لجأ إلى الأسلوب القصصي في معالجة قضايا المجتمع ودعوة النّاس إلى إصلاح أنفسهم وإصلاح أوضاعهم . ونجد في قبّة هذا الفنّ أمير الشعراء

[1] إيليا أبو ماضي ، ديوان إيليا أبي ماضي ، دار العودة ، بيروت ، لبنان ، ص 121

أحمد شوقي الّذي أبدع في هذا المجال حيث خصّ مجموعة من القصائد يتحدث فيها على لسان الحيوان مستوحيا في ذلك قصص" كليلة ودمنة" لابن المقفّع ، وقصص لافونتين وقد نظمهاشوقي بأسلوب نستشفّ منه جوانب الحكمة والتوظيف الرمزي للتأديب والإصلاح في قالب فكاهي في بعض الأحيان ، ونذكر على سبيل المثال قصيدة "الثعلب والدّيك" يقول فيها : [1]

برز الثعلبُ يوما... في شعار الواعظينا

فمشى في الأرض يَهذي... ويسبُّ الماكرينا

ويقول الحمد لله... إلهِ العالمينا

ياعباد الله توبوا... فهو كهف التائبينا

وازهدوا في الطير إنّ الـ...عيشَ عيشُ الزاهدينا

إلى أن يقول :

أنّهم قالوا وخيرُ الـ...قول قولُ العارفينا

مُخطئٌ من ظنّ يوما... أنّ للثعلبِ دينا

فمن خلال هذه الأبيات أعطى الشاعر إشارات يحذّر فيها من تصديق العدوّ والانسياق وراء مزاعمه وأكاذيبه.

أمّا من حيث المواضيع الّتي تطرّق إليها الشعراء في قصائدهم نجد مشكلة الفقر والفقراء وما يكابده هؤلاء من شظف العيش فيقول محمّدالعيد آل خليفة حاثا الموسرين على الإنفاق : [2]

فشَا الجوعُ و اشتدّ عسُر المعاش ... وعادت سِنُو يوسفَ الغابِره

تفاقم كربُ الفقير الكسيرِ ... أما عندكم من يدٍ جابره

[1] أحمد شوقي، الشوقيات، مؤسسة هنداوي ،القاهرة، مصر، 2012، ص 884

[2] محمد العيد آل خليفة، مرجع سابق ، ص 229

يشـقُّ عليـه الرغيـفُ الطفيــف ... وتُعْوِزُه الخِرقـةُ الساتـــــره

فيا أيُّـها الرّافـعون القصـــــورَ ... إلى الجوِّ في الأمّة القاصره

ألا تذكـرون حفــاةً عـــــــراة ... أصابــهم الفقـــرُ بالفاقــره

ومن الّذين سخّروا قلمهم لمحاربة الفقر الشاعر العراقي معروف الرّصافي."وللرّصافي في هذا المجال قصائدُ كثيرةٌ تتلظّى نارا وتفيض أسى ، وينعكس فيها صدى ما تحسّ النّساء من لدغة الألم ومن بين هذه القصائد قصيدته الأرملة المرضعة وصف فيها وصفا بارعا هذه المرأة " [1] فقال : [2]

لقيتـها ليـتنـي ما كنت ألقـــاها ... تمشي وقد أثقل الإملاقُ مَمْشاها

أثوابُها رثَّـةٌ والرِّجـلُ حـافيـــــةٌ ... والدّمعُ تَذْرفـه في الخـدّ عينــاها

مات الذي كان يحميها ويُسعدها ... فالدَّهـرُ مِن بعده بالفقـر أشقاها

الموتُ أفجعـها والفقــرُ أوجعها ... والهـمُّ أنحلـها والغـمُّ أضنـــــاها

ويستمرّ الشّاعر في وصف حالها وحالة وليدتها وشكواها من صروف الدهر وتقلباتـــه، ثمّ يختم قصيدته بضرورة التكفّل بهذه الفئة من المستضعفين حيث يقول :

هذي حكايـة حال جئت أذكــرها ... وليس يخفـى على الأحــرار مغزاها

أَوْلَى الأنامِ بعطف النّاس أرملـةٌ ... وأشرفُ النّاس مْن في المال وَاسَاها

ولقد تحدّث الشّعراء كثيرا عن دور المرأة في بناء المجتمع إذا ما حصّنت بالعلم فمشكلة التخلّف يعود إلى إهمال تعليم المرأة ، يقول أحمد شوقي : [3]

وإذا النّساءُ نشأْنَ في أميّةٍ ... رضع الرّجالُ جهالةً وخمولاَ

وبما أنّ العلمَ لايكفي وحده فلا بدّ من أخلاق فاضلة تتحلى بها المرأة وهذه الأخلاق منبعها دينها الّذي حاول دعاة السّفور صرفَها عنه ، وفي هذا المضمار يوجّه الشّاعر محمّد العيد

---

[1] بدوي أحمد طبانه، المرجع السابق ،ص140

[2] معروف الرّصافي، الديوان، مؤسسة هنداوي للتعليم والثقافة، مصر، 2014، ص 303

[3] أحمد شوقي، مرجع سابق ، ص 247

آل خليفة دعوته للمرأة حتّى تأخذ حذرها مما يُكاد لها دون أن يُهمل إرشادها للطريق السليم حيث يقول : [1]

ما بالها هجرت آداب مِلّتها ... ما بالها أعرضتْ عن خير دستور

إنّ الّذي برأ الجنسين خوّلها ... حقوقَها في كتاب منه مسطور

لو أنّها اقتبست من نوره وجَنَتْ ... من روضه التَحَقَتْ في الطهر بالحور

عافت تقاليدَها المثلى وقد سطعتْ ... أنوارُها وارتمت في كل ديجور

ما جلُّ آرائها المستحدثاتِ سوى ... مستورَداتٍ مداها غير مشكور

في كل مرحلة تزداد ظُلمتُها ... في الرأي فاقرأْ عليها سورةَ النُّور

ففي هذه الأبيات يرى الشّاعر أنّ الفتاة الجزائرية قد انجرفت مع التيار الاستغرابي الّذي يدعوها إلى الإعراض عن قيم وتعاليم دينها الّذي لو استقامت على الجادّة لكانت قدوة لغيرها . وقد جاء أسلوبه الدّعويّ الإصلاحيّ مشحونا بمضمون إسلامي ووطني متين

وقد نال التّعليم حظا وافرا من اهتمام شعراء الإصلاح لما يكتسيه من أهمية بالغة في تطوّر الأمم ، فنجد مثلا أمير الشّعراء أحمد شوقي ينظّم قصيدة في شرف العلم والمعلّم وأصبغ أبياتها بطابع الحكمة حيث يقول : [2]

قمْ للمعلّم وفِّهِ التبجيلا ... كاد المعلّمُ أن يكونَ رسولاَ

أَعَلِمْتَ أشرفَ أو أجلَّ من الّذي ... يبني ويُنْشئ أنْفُسا وعقولا

سبحانك اللّهم خيرَ معلِّم ... علّمتَ بالقلم القرونَ الأولى

أخْرَجتَ هذا العقلَ من ظُلُماته ... وهَديْتَه النّورَ المبين سبيلا

فبعد أن أبرز الشاعر قيمة العلم السامقةَ وأنّه نبراسُ العقول تطرّق الشّاعر إلى أهمية المعلّم ودوره الخطير في إصلاح المجتمع ، فأيّ خلل يصدر منه تكون عواقبه وخيمة

[1] محمد العيد آل خليفة، مرجع سابق ، ص 254

[2] أحمد شوقي، مرجع سابق ، ص 245

علـى مستوى الفرد و المجتمـع فيقـول :[1]

وإذا المعلّمُ ساء لحظَ بصيـرةٍ ... جاءتْ على يده البصائر حُولا

وإذا المعلّمُ لم يكن عدلا مشى ... روحُ العدالةِ في الشّباب ضئيلا

وفي آخر مُطوّلته يحثّ الشاعر أبناء الوطن على المثابرة في التحصيل العلمي مع الاعتماد الكلّـي على الله فهو خير كفيـل ووكيـل :

فَكِلُوا الى الله النجاح وثابِـروا ... فالله خيــرٌ كافــلاً ووكيــلا

كما نجد الشّاعر العراقيّ معروف الرصافي قد ركّز على أهمية العلم فلقد " هام الشاعر بالعلم هياما عجيبا ترى أثره في كثير من قصائده ... ويقضّ مضجع الشاعر أن يحيا قومه في مهاوي الظلمات ، وقد أُقيمت للعلم صروحٌ في أرجاء العالم "[2] فيقـول : [3]

أيّها النّاسُ إنّ ذَا العصرَعصرُالـ ... علمِ والجدّ في العلا والجهـــاد

بُنيت فيه للعلـوم المبـانـــي ... وأقيمت للبحث فيها النـــوادي

ما استــفاد الفتــى وإنْ ملك الأر ... ضَ بِأعلى من علمه المستفاد

ويصبغ الشّاعر على العالم صبغة الفارس المجلّى في حلبة الزّمان . ولن يبلغ شأوَه الهجينُ الجهـولُ فيقــول :

لا تسابقْ في حلبة العزّ ذا العـلـ ... مِ فما للهجيـن شـأْوُ الجـواد

إنّ أموات أمـة العلــم أحيـــــا ... ءٌ حيـاة الأرواح والأجســـاد

وكَأَيِّنْ في النّـاس مِن ذي خمولٍ ... صار بالعلــم كعبــةَ القُصّــاد

حتّى أنّ الرّصافيَّ اعتبر تخاذلَ النّاس في طلب العلم وإقامة المدارس عقوقا للوطن فقال:[4]

إذا ما عقّ موطنَهم أناسٌ ... ولم يبنوا به للعلم دورا

فإنّ ثيابَهم أكفانُ موتى ... وليس بيوتُهم إلاّ قبورا

---

[1] أحمد شوقي، مرجع سابق ، ص 247

[2] بدوي أحمد طبانه، مرجع سابق ،ص126

[3] معروف الرّصافي، مرجع سابق ، ص 43

[4] معروف الرّصافي، مرجع سابق ، ص 89

كما عالج شعراءُ النهضة الانحـلالَ الخلقيَ الّذي يعتبر من أسباب تأخّـر المجتمعـات فقال فـي هذا الصّدد الشّاعر خليل مطـران :[1]

بني الشرقِ فَلْنَفْقَهْ حقيقةَ حالنا ... لننجو أو يُقضى القضاءُ المُحتَّمُ

يصول علينا الجهلُ غير مدافَعٍ ... بجيش له في كل ربـع مُخَيَّـــمُ

ويُعوِزُنا الإخلاصُ في كل مطلب ... ويُعوزنا الخلقُ المتينُ المُقـوِّم

نـقائصُ فينا لم أعـددْ جِســامها ... ولكنَّني عددتُ ما هـو أجْسَــم

فإنْ بـقيتْ فهـي التأخُّـرُ لم يـزل ... وإنْ تُقْلِعوا عنها فذاك التقـدُّ م

دون أن ننسـى البيت الّذي بلـغ الآفـاق للشّاعر أحمد شوقي مبرزا دور الأخـلاق فـقـال: [2]

وإنّـما الأممُ الأخـلاقُ ما بقِـيَت ...فإنْ هُـمُو ذهبت أخلاقُهم ذهـبوا

وقال أيضـا فـي هـذا الاطـار :

صـلاحُ أمرك للأخـلاق مرجعـه ... فَقوِّمِ النَّفسَ بالأخلاق تستقــمِ[3]

وقــال :

إذا أُصيب القومُ فـي أخـلاقـهم ... فأقِـمْ عليـهـم مَأتَـما وعَـــــوِيلا[4]

ومما نلاحظه في الأبيات السابقة أنّها عبارةٌ عن دعوات ملحّة لتقوية الأخلاق وإنقاذهـا مـن براثـن الآفـات الّـتي وقعت فيها الأمّـة العربيـة لهذا يعتقد كثيرمن الشعـراء أنّ العلم وحده يعـود بالوبـال علـى الأمّة ما لـم يحـاط بسيـاج الأخـلاق.

وخلاصة لما سبـق فإنّ الأدبَ الإصلاحـيَّ عند شعراء النهضـة قد أخذ أبعـادا تربويـة إصـلاحيـة حيث أدّى الشّعراءُ دورَهـم فـي خدمـة مجتمعاتهم كـلٌّ حسَب زاويتـه الخاصـة به من حيث المضمونُ والشّكـلُ ، ولقد انبـروا لقضـايا وطنهم يكشفـون الدّاء ويصفـون العلاج

---

[1] خليل مطران، الأعمال الشعرية الكاملة، جمع وترتيب ومراجعة وتقديم الدكتور أحمد درويش، الطبعة الأولى، مؤسسة جائزة عبد العزيز سعود البابطين للإبداع الشعري، الكويت، 2010، ص 1267

[2] أحمد شوقي، مرجع سابق ، ص 20

[3] أحمد شوقي، مرجع سابق ، ص 261

[4] أحمد شوقي، مرجع سابق ، ص 247

المناسب يَحْدُوهم في ذلك إخلاصهم لأوطانهم ورغبتهم في الوصول بها إلى مصاف الدّول المتقدمة ، وقد تمكّنوا من إذكاء جذوة الشّعور بالواقع المرير للأخذ بأسباب النهضة انطلاقا من موروثاتهم الثّقافية السليمة من كلّ أوشاب الضلال.

الفصل الثاني : حافظ إبراهيم حياته وآثاره

1-المولد والنشأة

2- وفاة حافظ إبراهيم

3-مؤلفات الشاعر

أولا : المولـد والنشـأة

كـان أبـوه إبراهيـم فهـمي مصـريا وأمـه السيـدة هانم بنت أحمد البورصـه لي من أسـرة تركيـة . وبذلك امتزج في حافظ الدّم المصري والدّم التركي وتفاعَلاَ فـي تكويـن شخصيـة حافـظ إبراهيم الّذي ولد سنـة 1872 فـي ذهبيـة (سفينـة) راسيـة في النّيـل ، ويُعلّق الأستـاذ أحمـد أميـن علـى هذه الـولادة في هذه العيـادة الخاصـة بأنّـه " كـان إرهاصا لطيفا وإيمـاء طريفا ، إذ شاء القدر ألا يولد شاعر النّيل إلاّ على صفحة النّيـل. "[1]

لم يتفيأ حافظ إبراهيم ظلّ أبيه طويلا إذ فقده وهو فـي الرابعـة من عمره . فعادت بـه أمّـه مـن بلدة ديـروط إلى بيت أسرتها حيث الخـال محمد نيـازي الّـذي تولّـى أمـر الأسـرة الصغيـرة الوافـدة .

ولمّا بلـغ حافظ إبراهيم سنّ الدّراسـة أرسله خاله إلى المدرسة الخيـرية ليتلقّى تعليمـه الأوليّ من قـراءة وكتابـة وحسـاب ودين ثم تحول إلى المدرسة الخديوية وهي من المدارس الثّـانـويـة .

وعندما انتقل خال حافظ إلى مدينـة طنطا بحكم الوظيفـة الّتي كان يشغلـها كان لـزامـا أن ينتقـل حافظ إبراهيم معه ، ينتقل من العالَم الّذي أَلِفَه واطمأنّ إليه إلى عالَم جديد غريب عليـه ، فالتحق شاعرنا بثانويـة بطنطا لاستكمال تعليمه الّذي لـم يجد فيه ضالتـه . ونظرا لنفسيتـه المضطربـة تمرّد حافظ عن المدرسـة وانصرف عنها ووجد فـي الجامع الأحمـدي بطنطا بُغيتـه ، فكـان يجلس في حلقات الدّرس يتلقّى عن العلمـاء دروسـا فـي اللّغة والفقه فشدّ انتباه الشّـاعر ما يتلقاه من آداب اللّـغـة ويُعـجـب بالشّـعـر ومـوسيقـاه حتّـى ملـك عليـه حواسّـه فأخـذ يطّـلـع علـى دواوين الشّعراء القدامى التي كانت المصدر الرئيس لثقافته وقد قـال الأديب طـه حسين فـي ذلك : " إنّما كانت ثقافتـه مـن كتـاب الأغانـي ودواويـن

[1] حافظ إبراهيم، ديوان حافظ إبراهيم، الطبعة الثالثة، مطابع الهيئة المصرية للكتاب، مصر،1987، ص18

الشّعراء ، وكان يفهم الأغاني والدواوين بقدر ما يستطيع فيصيب كثيرا ويخطئ أحيانا." [1] فأخذ حافظ يستظهر عن ظهر قلب كل ما تقع عيناه من عيون الشعر العربي ويحاول أن يقتفي آثار الشّعراء في قرض الشّعر ممّا جعل شيوخ طنطا وأدباؤها يعجبون بهذا الفتى.

بعد ذلك تحوّل إلى المحاماة حيث تلقّفه نقيب المحامين فضمّه إليه كمساعد له في القضايا لما رأى فيه من فصاحة اللّسان وقوّة الحجّة وغزارة البيان " لأنّ حافظا قد قال من الشّعر ونظّم من القصائد ما ملك القلوب وخلب العقول واستأثر بالألباب ، وما ليس إلى نسيانه من سبيل ." [2]

أخذ حافظ ينتقل من مكتب إلى آخر لا يهدأ له بال في مكان واحد ، ولعلّ مردّ ذلك القلق النّفسي الّذي لازمه طوال حياته بسبب الأزمات النفسية الّتي تعرّض لها منذ نعومة أظفاره .

بعد ذلك التحق حافظ إبراهيم بالمدرسة الحربية بإيعاز من زوج شقيقته المتوفاة حيث وجد في هذه الوظيفة ما تضمن له حياة كريمة تغنيه من شرّ الجوع والمسألة.

ولعلّ هذه النقلةَ تثير أسئلة محيّرة ، فما هو السبب الّذي يجعل شابا شاعرا مرهف الأحاسيس ينتقل من المحاماة إلى الحربية ؟ مِنَ الأدباء مَنْ يرى أنّ حافظ إبراهيم قد فشل في المحاماة فدخل المدرسة الحربية ، ولكن قد يكون الباعث غير ذلك وهو قراءته لسيرة محمود سامي البارودي الشاعر والحربيّ في الوقت نفسه ،وتأثّره به وهذا ما رمى إليه الأديب العقّاد حين قال : " فإنّ هناك بواعثَ كثيرةً قرّبت بين حافظ والبارودي في الطريقة وما زالت بهما حتّى جمعت بينهما بعد ذلك بجامعة الألفة والمودّة ، فحافظ قد اختار حياة الجندية كما اختارها البارودي من قبله ، وحافظ كان مفطورا كصاحبه على إيثار الجزالة والإعجاب بالصياغة والفحولة في العبارة ، وكان كصاحبه أيضا من

[1] طه حسين، حافظ وشوقي، مكتبة الخانجي، القاهرة، مصر، ص 177

[2] المرجع نفسه ، ص 103

حزب التمرّد والثّورة لا من حزب التّسليم والاستكانة . " [1]

وفي سنة 1891 تخرّج الشّاعر في المدرسة الحربية ضابطا في الجيش ثم عمل في السودان ما يقرب من سنتين ثمّ أحيل إلى الاستيداع مرتين إلى أن طلب إحالته إلى المعاش سنة 1903 .

استشرف حافظ إبراهيم طورا جديدا من أطوار حياته ، فلقد ذاع صيته واشتهر على أَلْسِنَةِ النّاس حتّى أصبح يُشار إليه بالبنان كضابط وشاعر جريئ جسور ، وكان يغشى مجالس الزّعماء الأحرار وعلى رأسهم الإمام محمّد عبده ومصطفى كامل وسعد زغلول وغيرهم فأحبّوه لأنّهم وجدوا فيه ذخيرة وطنية تستحقّ الاهتمام والعناية فأغدقوا عليه بالأموال ليكفوه شرّ المسألة وليتفرغ بشعره في إذكاء الشعور الوطني في البلاد وتحريك مشاعرالجماهير .

لم يُوفّقْ حافظ إبراهيم في زواجه الأوّل الّذي دام بضعة أشهر وعاش بقية حياته وحيدا " ويُعدُّ هذا الجانب من أغمض الجوانب في حياته ولم يتناوله أحد من الّذين كتبوا عنه ولم يلق عليه أي ضوء. "[2]

[1] عبّاس محمود العقّاد، شعراء مصر وبيئاتهم في الجيل الماضي، مطبوعات مكتبة النهضة المصرية، القاهرة ، مصر، 1937، ص 12

[2] أنور الجندي، من أعلام الفكر والأدب، الدار القومية للطباعة والنشر، ص 16

ثانيا : وفاة حافظ إبراهيم

هناك مناسبةعجيبة لحافظ إبراهيم في تشييع جنازة الشيخ محمدعبده حيث عندما وقف جمعُ المشيّعين على قبره رثاه ستةٌ من الخطباء و الشعراء أوّلُهم أحمد أبو خطوة ثم حسن عاصم ثمّ حسن عبدالرّزاق ثمّ قاسم أمين ثمّ حفني ناصف وآخرهم حافظ إبراهيم فماتوا حَسَبَ ترتيب وقفتهم التأبينية. عندما مات الأربعة الأوائل انتبه الخامس وهو حفني ناصف إلى قضيّة موت الأربعة بترتيب يوافق ترتيب وقفتهم التأبينية فأرسل قصيدة إلى حافظ إبراهيم قائلا : [1]

أتذكر إذ كنّا على القبر ستّة ... نعدّ د آثار الإمام و ننـــدبُ
وقفنا بترتيب وقد دبّ بيننا ... مماتٌ على وفق الرّثاءِ مرتّب
أبو خطوة ولّى و قفّاه عاصم ... وجاء لعبد الرازق الموت يطلب
فلبّى وغابت بعده شمسُ قاسم ... وعمّا قليل شمسُ محياي تغرب
فلا تخش هلكا ما حييتُ وإن أمت ... فما أنت إلاّ خائفٌ تترقّب
فخاطِرْوقعْ تحت القطار ولا تخفْ ... ونم تحت بيت الوقف وهو مُخرب
وخُضْ لججَ الهيجاءِ أعزلَ آمنا ... فإنّ المنايا عنك تنأى وتهرب

ثمّ أراد الله سبحانه و تعالى أن يموت حفني ناصف أيضا قبل حافظ إبراهيم واكتمل الترتيب وكانت وفياتهم متقاربة .وفي ذكرى الإمام محمّد عبده كتب حافظ إبراهيم قصيدة في ثلاثة وأربعين بيتا ضمّنها رثاء صديقه حفني ناصف كما يحثّ نفسه على التوبة والاستعداد ليوم الرّحيل فقال : [2]

آذنت شمسُ حياتي بمغيبِ ... ودنا المنهلُ يا نفسُ فطيبي

[1] حافظ إبراهيم، مرجع سابق ، ص518

[2] حافظ إبراهيم، مرجع سابق ، ص517

قد مضى حفني وهذا يومُنا ... يتـدانى فاستثيبــي وأنيبــي

راعــني فقـد شبابي وأنــا ... لا أراعُ اليوم من فقد مشيبي

ثمّ يشير حافظ إبراهيم إلـى قصيدة حفني ناصف: [1]

قد وقفنا ستّـة نبكي على ... عالِمِ المشرق في يوم عصيب

حنّ جنباي إلـى برد الثّرى ... حيث أُنسى من عدوٍّ وحبيــب

وقف الخمسة قبلي فمَضَوْا ... هكذا قبلي وإنّـي عن قريــب

أنا مذْ بانـوا وولّى عهدُهم ... حاضرُ اللوعة موصولُ النحيب

وفـي صباح يوم 21 جويلية سنـة 1932 صعدت روح حافظ إبراهيم إلـى بارئـها بعـد حياة مليئـة بالبؤس والخوف والرّجـاء واليأس ، وبعد أن ترك تراثا أدبيّا أصـيلا نافـح بـه عن قضـايا أمّـته الّـتي رثتـه رثـاء لايبلغ مرثياتـه الّـتي كان ينشدها على أعلام الأمة، وقد أشـار بذلك الدكتـور طـه حسين حين قـال : " رحم الله حافظاً ما أرى أنَّ الّذين سيعرضون لرثائـه من الكتّـاب والشّـعراء سَيُوفُّونه حقّه أو يبلغون من ذلك ما كـان يبلغه هو حين كان يعرض لرثـاء الأعـلام الّذين كان يفقدهـم هذا البلد من حين إلـى حين ." [2]

[1] حافظ إبراهيم، مرجع سابق ، ص517

[2] طه حسين، مرجع سابق ، ص 140

ثالثا : مؤلفات الشاعــر

1 الدّيوان الشعــري

من مؤلفاتـه ديوانُــه الشّعـري الّذي صوّره حافظ إبراهيم في بيت مـن الشعرقائلا:

إذا تصفّحتَ ديواني لتقرأني ... وجدت شعرَ المراثي نصفَ ديواني [1]

وقـد فهـم بعـضُ النّقـاد من قولـه نصف ديواني أنّـها إشـارةٌ إلـى الكمّ فـراحوا يعدّون أبيات الدّيـوان ويصنّـفونها حسب الأغراض الشعرية. ولقد انبرى أحد الباحثين يحسُبُ تركةَ حافظ من الشعر يعـدُّها بيتا بيتا ليصل إلى نتيجة تُناقضُ مقولةَ الشّاعرِ بل وجد أنّ المدحَ أكثرُ من الرثّـاء فـي مجمـل قصائـده، والإحصـائيـةُ الّـتـي توصّـل إليـها البـاحــث هي : [2]

الغرض الشعري	عدد الأبيات	عدد القصائد والمقطوعات
– المدائح والتهاني	1546	67
– المراثي	1378	50
– السياسيات	1141	38
– الاجتماعيات	802	32
– الاخوانيات	385	28
– الوصف	354	17
– الشكوى	124	13
– الخمريات	59	6
– الغزل	29	10
– الأهاجي	24	10
المجموع	5842	261

ولعلّ فهْمَ قـول الشّاعر السّابق بهذه الرؤيـة القاصرة فيه إجحاف للشعر والشاعر، والظاهر

[1] عبد النّاصر محمد السعيد، مدح الساسة والحكام بين حافظ والزبيري، دار الكتب، 1996، ص26

[2] المرجع نفسه ، ص27

أنّ حافظ إبراهيم أحسّ أنّه يُبدع في فنّ الرّثاء وتنشط نفسه له كما أحسّ بوجوده في مرثياته أكثر من أيّ غرض أدبيّ آخر و لا عجب في ذلك فالشّاعر ذاق ألوان البؤس و الشقاء .

2 – ترجمة كتاب البؤساء

كتاب البؤساء من القصص العالمية و من الأدب الرفيع للأديب فيكتور هوجو ولقد قام حافظ إبراهيم باقتباس جزأين ولم يستطع إتمام ترجمتهما لما لاقاه من العناء لعدم تمكنه من اللّغة الفرنسية و أسرارها " كان حافظ يلمّ بالفرنسية و لكنّه لم يكن يتقنها لانطقا ولافهما ... لقد لقي في ترجمة البؤساء عناءً عظيمًا ، عناء في الفهم عناء في استشارة المعاجم ، وعناء في الصيغة العربية نفسها . وكثيرا ما كان حافظ يعجز فهم فيكتور هوجو فيقيم نفسه مقامه و يعوّضنا من معنى الكاتب الفرنسي لفظه هو بما فيه من جمال و جزالة و روعة " [1]

ولنا أن نتساءل عن سبب اختيار حافظ كتاب البؤساء وتجشّمه هذا العنت في التّرجمة كما تساءل من قبل الدكتور طه حسين حين قال : "ولست أدري لِمَ اختاره حافظ و كلّف نفسه ألوان الجهد و العناء في ترجمته ؟ فالحقُّ أنّ شاعرَنا قد تكلّف جهدا عظيما و عناء شديدا في هذه الترجمة ولست أدري لِمَ اختاره ؟ " [2]

ولنا في مقدّمة ترجمته الجوابُ الشافي حيث يوجّه كلامَه لأستاذه محمّد عبده الّذي دلّه على هذه الرواية وسانده في فهم النّص الأصلي و تعريبه خاصة وأنّ الإمامَ كان يلمّ باللغة الفرنسية في أثناء وجوده بفرنسا مع جمال الدّين الأفغاني فقال له حافظ : " إنّك موئل البائس ومرجع اليائس، وهذا الكتاب – أيّدك الله – قد ألمّ بعيش البائسين و حياة اليائسين، وضعه صاحبُه تذكرة لولاة الأمور، وسمّاه " كتاب البؤساء " و جعله بيتا لهذه الكلمة الجامعة و تلك الحكمة البالغة " الرّحمة فوق العدل " وقد عنيت بتعريبه لما بين

[1] طه حسين، مرجع سابق ، ص 177

[2] طه حسين، مرجع سابق ، ص 83

عيشي و عيش أولئك البائسين من صلة النّسب و تصرّفت فيه بعض التصـــرّف و اختصرت بعض الاختصار ورأيت أن أرفعه إلى مقامك الأسنى ." [1]

أما بالنسبة لأسلوب الكتاب و طريقة الترجمة فعلى غرار فيكتور هوجو الّذي اشتهر بإغراقه في اختيار الألفاظ تعمّد شاعرنا في اقتفاء أثر هوجو فاستعمل الألفاظ الجزلة وكأنّ النّصَ كُتِب لغير زماننا حتى بعُدَت الترجمة عن النّص الأصلي وفي هذا يقول عميد الأدب العربي الدّكتور طه حسين : " ماذا نقول في كتاب لا تكاد تمضي في قراءته حتّى تشعر بأنَّه إنّما كُتب في غير هذا العصر ، كُتب أيام كانت اللّغة العربية بدويّة جزلة لم تخلع بعد أسمال البداوة ، ولم ترتد حلل الحضارة ... ثم هو يصف بهذه اللّغة البدوية عواطف حضرية و معاني حضرية ، عواطف و معاني نشأت في أوربة و في نفس فيكتور هوجو ، يصف بلغة رُؤبة والعجّاج و ذي الرمّة خواطر كتّاب الفرنسيين في القرن التاسع عشر. " [2]

وإنّي أتساءل هل نعد هذه منقبة لحافظ أم هي مثلبة ؟ فمن الزاوية الأولى فهي تظهـــر بجلاء تَمَكُّنَ حافظ من ناصية اللّغة و إلمامه بها أحسن الإلمام . كما تبرز حرص حافظ على أن يحتفظ للغة العربية بروائها القديم وبهائها البدويّ التليد .

أما إذا عددنا ذلك نقيصة فلأنّها تكلُّفُ و لأنّها عَقبةُ تَحُول بين المتلقي وبين الفهم فهي لا تلائم روح العصر ، إلى درجة أنّ أحدَ الأدباء المجيدين قال لطه حسين يوما : " أليس غريبا أن يكون ابنُ المقفّع أدنى إلى أفهامنا من حافظ . " [3]

[1] فيكتور هوجو، البؤساء، تعريب حافظ إبراهيم، مكتبة ابن سينا، القاهرة، مصر، 2014، ص 14

[2] طه حسين، مرجع سابق ، ص 84

[3] طه حسين، مرجع سابق، ص 85

3 – الموجز في علم الاقتصاد لأستاذ الاقتصاد الفرنسي بول لروا بوايو

قام الشّاعران الكبيران خليل مطران وحافظ إبراهيم بترجمة كتاب " الموجز في الاقتصاد " في خمسة أجزاء . وقد رأى الكثير من المؤرخين أنّ الفضل في ترجمة الكتاب ترجمة دقيقة يعود إلى خليل مطران ،" وترجم كتابه في الاقتصاد هو و مطران ترجمة دقيقة يرجع الفضل في دقتها واستيعابها إلى مطران. " [1]

فخليل مطران كان له النصيب الأوفى في فهم النّصّ الفرنسي . غير أنّ لمساتِ حافظ إبراهيم في هذا الكتاب إنّما كانت في عملية التعريب و الصياغة ومحاولة الوقوف على المصطلحات العلمية البعيدة كلّ البعد عن أيّ لفظ أجنبي ، حتى أنّ الشاعر حافظ إبراهيم لَيَعْتَمِدُ في استخراج الألفاظ من بطون المعاجم ، و النفور من إدماج أي اصطلاح أجنبيّ فجاءت التّرجمة – وإنْ خلت من السّجع و المحسنات – قد اكتست حُلّة أدبية بطابعها الجزل المعهود بحافظ إبراهيم .

أما بالنسبة للمادة العلمية للكتاب فقد جاءت سطحية تدور حول العموميات دون التعمق في خصائص علم الاقتصاد ولعلّ ذلك راجع إلى كون الكتاب مُوجّها إلى المبتدئين في هذا الفنّ ، وعلى الرّغم من ذلك فالكتاب يعتبر مكسبا للثقافة و التعليم آنذاك وهو نافذة نلج منها إلى هذا العلم .

والشيء الملفت للانتباه أنّ هذا الكتاب العلمي يتناول النظرة الرأسمالية للاقتصاد فكيف تمّت ترجمته وتسويقه في بلد لم يَتَبَنَّ هذا التوجّه الليبرالي وهذا ما أشار إليه الأديب محمّد مندور حين قال :

" كما أنّ هناك مأْخذا خطيرا على هذا الكتاب ومؤلفه الفرنسي ... كان من أشدّ رجال هذا العلم تعصبا للاقتصاد الحرّ ، ومن أشدّهم عداوة للحماية الاقتصادية و للمبادئ الاشتراكية ممّا يبدو معه أنّ كتابه المذكور لم يعد يتمشى مع السياسة الاقتصادية التي انتهت إليها

[1] مجلة أبولو، عدد خاص بحافظ إبراهيم، مطبعة التعاون، مصر، المجلد الأول، العدد الحادي عشر، 1933، ص 1393

بلاد كمصر ...ولسنا ندري هل فطن المترجمان الفاضلان ... إلى هذه السياسة التي يصدر عنها المؤلف في كتابه أم لا ، وهل قصدوا إلى نشر هذه السياسة والإيمان بها بين تلاميذنا أم لا ، وأكبر الظّنّ أنّ أكبرَ همّهم كان نشر المعرفة بهذا العلم ومبادئه وتقريبهما إلى جمهورنا صارفين النّظر عن اتجاهه السياسي."[1]

4-كتاب في التربية والأخلاق :

كتاب نقله الى اللّغة العربية في أسلوب سليم وعبارات سهلة ، لكنّه لم يترجمه جميعه بل ترجم منه قسمين

[1] المجلس الأعلى لرعاية الفنون والآداب، حافظ إبراهيم مهرجان حافظ بالإسكندرية، المطبعة الأميرية بالقاهرة، مصر 1957، ص 219

5 – كتاب ليالي سطيح :

وهو أحد كتب السّرد العربيّ المبكّرة حيث صدر سنة 1906 فهو ينتمي إلى المرحلة الأولى من عمر السّرد العربي الحديث ، وقد استعرض حافظ إبراهيم في مؤلفه هذا العديد من المشكلات و القضايا السياسية و الاجتماعية في عصره دون أن يتعمّق في تحليل القضايا وإنّما كان يمرّ عليها مرورا سريعا ، حيث تناول الإنجليز و الامتيازات الأجنبيةَ كما تحدّث عن الثّورة السودانية وما تبعها من حوادث .

ومما تجدر الإشارة إليه أنّ حافظ إبراهيم ألّف كتابه هذا بعد سنة من وفاة أستاذه محمّد عبده فلم يجد بدّا من أن يعتكف في بيته بعد أن اعتصره ألمُ فراق أستاذه . فتناول يراعه يبثه شجونه .

لقد استنطق حافظ إبراهيم في كتابه "ليالي سطيح " الكاهن سطيح بن ربيعة أحد كهنة بني ذؤيب في الجاهلية و جعله يفصل في القضايا التي يعرضها عليه حافظ إبراهيم الّذي لم يشأ أن يصرّح باسمه وإنّما اتّخذ لنفسه كنية وهي "أحد أبناء النّيل."

لقد سار حافظ إبراهيم في كتابه هذا على خطى المويلحي في سرد قضايا المجتمع حيث " نحا حافظ في هذا الكتاب نحو(حديث عيسى بن هشام) للمويلحي ، وقد تأثّر به دون شكّ في روحه النّقّادة وفي نظراته للمفاسد الاجتماعية ، بل نقل عن قطعة طويلة هي وصف المويلحي لقصر اسماعيل. "[1]

[1] عمر الدسوقي، نشأة النثر الحديث وتطوره، دار الفكر العربي، القاهرة، مصر، 2007، ص 144

الفصل الثالث : قضايا الشعر الإصلاحي عند حافظ

1- حافظ والمرأة

2- حافظ وقضية الطفولة

3- حافظ واللغة العربية

4- وجوه أخرى من أوجه الإصلاح

إنّ دعوة الإصلاح في شعر حافظ إبراهيم شاعر مصر البارز تكتسي مكانة سامقة في تراثه الأدبي ، فالشّاعر حافظ إبراهيم من أكثر الشعراء التفاتا إلى نواحي الإصلاح ويظهر ذلك في عنايته البالغة بقضايا أمته خاصة وقضايا المسلمين بصفة عامة .

لقد استطاع حافظ إبراهيم أن يأسر قلوب مواطنيه حيث كان أدنى إلى قلوب الشعب ولعلّ ذلك كان سببا بارزا في أنّهم كسوه ألقابا عديدة فهو شاعر النيل وشاعر الشعب وشاعر مصر الاجتماعي وشاعر الوطنية ، وهذه الألقاب لا ينازعه فيها أحد فهو خليق بكلّ هذه الأوسمةِ .

لقد كان حافظ لسان أمّته الناطق المعبّر عن آلامها وآمالها وكان صدى صوته بلغ الآفاق ، فقد شهد له معاصروه بأنّه أكثر شعراء مصر والشرق اهتماما بشؤون مصر وقضايا الشرق ، " فهو مرآة للجماعة المصرية ترى فيه نفسها وأهواءها وكلّ ما اضطربت فيه من وجوه إصلاح في الدّين والسياسة والاجتماع. "[1]

يعتبر حافظ إبراهيم شاعر الشكوى والأنين وشاعر الآلام ، ولا تقتصر هذه الشّكوى من أجل نفسه بل كان يتألّم لآلام النّاس في صورة ناصعة.

وكثيرا ما كان حافظ يتوجّع من الجمود الفكري الّذي ساد في الأمّة الإسلامية ممّا أعقبه تخلف في جميع الميادين ، وهذه الزفرات الّتي تنبعث منه لدليل على صدق حبّ الشاعر لوطنه خاصة وللمشرق عامة .

تأثّرحافظ إبراهيم بأحداث عصره وبيئته يوم كانت تخضع للنفوذ البريطاني ، فكان شعره خيرَ سجلٍ زاخر بالصدق و الوطنية والدعوة إلى الإصلاح في أسلوب شيّق مطبوع على الجزالة وقوّة السبك .

وقد كان حافظ يقسو أحيانا في نقده لأوضاع أمّته إلى درجة التأنيب، وله في ذلك

[1] شوقي ضيف، الأدب العربي المعاصر في مصر، الطبعة العاشرة، دار المعارف، مصر، 1992، ص52

أبياتٌ رائعةٌ ينـدّد ببعض الفئات من النّـاس الّذين يتغنون بماضيهم المشرق دون أن يقدّمـوا لحاضرهم ما يبقيهم طليعة الأمم حيث يقول : [1]

وذي إرث يكاثــرُنــا ... بمال غير مُكتسَـبِ

وفي الروميِّ موعظةٌ ... لشعب جدَّ في اللّعب

قل للفـاخــرين أمــا ... لهذا الفخرِ من سبب

أرونــي بينـكم رجلاً ... رَكينا واضحَ الحسب

أروني نصف مُخترِع ... أرونــي ربْع محتسِب

أروني نـاديا حفْـــلا ... بأهلِ الفضل والأدب

فهُبُّوا مـن مراقـدكم ... فإنّ الوقتَ من ذهب

فهذا مثال من شعر حافظ إبراهيم عندما يستشيط غضبا في نقده للمجتمع ، ومع هذه القسوة الّتي عرفها لـه شعبه لم يزدهم في ذلك إلاّ حبا لهذا الشاعر لما لمسوه فيه من حبّ الوطن وإخـلاصه لــه وفــي كلّ ما كان يدعـو إليـه من إصـلاح وتـطـوّر وليس له سوى الإصـلاح ولاشــيءغيــره

[1] حافظ إبراهيم، مرجع سابق ، ص 424

أولا : حافظ و المــرأة

لاتستطيع أمّة أن تبنيَ نهضةً شاملة إذا حرمت المرأة نصيبها من التأثير في المجتمع وتقاس منزلة المرأة بدرجة الاعتناء بها و الدفاع عن حقوقها في غير إفراط ولا تفريط لذا دعا الشاعر حافظ إبراهيم إلى ضرورة إعداد المرأة الشّرقية لتقوم بدورها في تربية جيل مستنير :

الأمّ مدرسة إذا أعددتها ... أعددت شعبا طيّب الأعراق[1]

ومنذ أن طفت على السّطح مشكلةُ المرأة من حيث التعلّمُ والوظيفةُ ودعا الأدباء والمفكّرون للاهتمام بها ، كان لحافظ صوتٌ في إصلاح حال المرأة وتحريرها ، فبمجرّد أن أصدر قاسم أمين كتابيه في المرأة احتدم الجدال بين الأدباء ورجال الدين ، بين مؤيّد ومعارض، وسرت الدّعوة في أقطار الوطن العربي سريان النّار في الهشيم .

كان حافظ آنذاك يراقب المشهد بحذر ويطالع على صفحات الجرائد مايدور من سجال ويرى ما يتعرض له دعاة تحرير المرأة من طعن كثير وتأييد قليل ، خاصة وأنّ البيئة التي نمت فيها هذه الفكرة لا تحبّذ مثل هذا الطرح لأنّها تصطدم بالتقاليد السائدة وبحَميّة الرّجل العربيّ ، فلم يسعْ حافظ إبراهيم – وقد راضته ظروفُ حياته – إلاّ أنْ يتموقع وسط الرأيين ممّا يجنّبه سخط الساخطين . فأنشد قصيدة قائلا : [2]

إن ريت رأيا في الحجاب ولم ... تعصم فتلك مراتب الرّسل

الحكم للأيام مرجعه ... فيما رأيت فنم ولاتسل

وكذا طهاة الرأي تتركه ... للدّهر ينضجه على مهل

فإذا أصبت فأنت خير فتى ... وضع الدواء مواضع العلل

أو لا فحسبك ما شرفت به ... وتركت في دنياك من عمل

[1] حافظ إبراهيم، مرجع سابق ، ص282

[2] حافظ إبراهيم، مرجع سابق ، ص473

والملاحظ من الأبيات السابقة أنّ رأي حافظ إبراهيم كان باهتا نوعا ما ، فما زاد إلاّ أنْ وصف قاسم أمين بعدم العصمة، فدعوته تحتمل الخطأ أو الصواب. و قد أشار الدكتور طه حسين إلى ذلك حيث قال : " وقد عرض حافظ في هذه القصيدة لرأي قاسم في السّفور والحجاب ، فتحفّظ ولم يقطع ولم يُعلن مناصرة صاحبه ،وكان في ذلك مصوّرا (سواء أراد أم لم يُرد) لموقف كثير من المستنيرين في ذلك العصر كانوا يرون رأي قاسم ، ولكنّهم يُشفقون من الجهر به ويُرجئون الأمر إلى الأيام تقضي فيه بالحقّ ."[1]

ولكون قضية المرأة ليست سحابةَ صيف عمّا قليل تنجلي ، أخذ حافظ إبراهيم ينشر آراءه الإصلاحية بشيء من التُؤَدَة حيث أثنى على المرأة مبينا دورها الرئيس في الأمّة حيث قال : [2]

إليكنّ يهدي النّيل ألف تحية ... معطرة في أسطر عطرات
ويثني على أعمالكنّ موكلي ... بإطراء أهل البرّ و الحسنات
صنعتنّ ما يعي الرجال صنيعه ... فزدتن في الخيرات و البركات
يقولون نصف النّاس في الشّرق عاطل ... نساء قضين العمر في الحجرات
وهذي بنات النّيل يعملن للنهى ... ويغرسن غرسا داني الثمرات

لقد بدأموقف حافظ إبراهيم من المرأة يتضح شيئا فشيئا إذ ارتكز على تجسيد دورها وإبراز مكانتها ، ومن مقوّمات الإصلاح أن يستعين المصلح بالقدوة المناسبة لموقف معين حيث اتّخذ الشّاعر من المرأة اليابانية صورة حيّة يحتذى بها إذ شاركت في حرب روسيا واليابان فعبّر الشّاعر عن إعجابه على لسان المرأة اليابانية قائلاً :[3]

أنا يابانية لا أنثني ... عن مرادي أو أذوق العطبا
إنّ قومي استعذبوا ورد الردى ... كيف تدعوني ألاّ أشربا

[1] طه حسين، مرجع سابق ، ص 154
[2] حافظ إبراهيم، مرجع سابق ، ص131
[3] حافظ إبراهيم، مرجع سابق ، ص323

أنا إن لم أحسن الرمي ولم ... تستطع كفاي تقليب الظبا

أخدم الجرحى وأقضي حقّهم ... و أواسي في الوغى من نكبا

ودعاني موطني أن أغتدي ...علّني أقضي له ما وجبا

نذبح الدّبّ و نفري جلده ... أيظنّ الدّبّ ألاّ يُغلبا

هكذا الميكاد قد علّمنا ... أن نرى الأوطان أمّا و أبا

إنّ شاعرنا يريد أن يُرسّخ في نفوس الشّعب العربي هذا المفهوم البطولي للمرأة اليابانية ويُنبّه الإنسان العربي إلى ضرورة التفطّن لهذا النصف من المجتمع إذ به تُفتح نافذة من نوافذ الرّقي و التطوّر .

وفي 29 من شهر ماي 1910 أطلّ علينا الشاعر بقصيدة مُطوّلة تعبّر عن نفثة مصلح حكيم يحاول انتشال المرأة ممّا تكابد من آلام و ما تعامل من عنت فقال:[1]

من لي بتربية النّساء فإنّها ... في الشرق علّة ذلك الإخفاق

الأمّ مدرسة إذا أعددتها ... أعددت شعبا طيّب الأعراق

الأمّ روض إن تعهده الحيا ... بالري أورق أيّما إيراق

الأمّ أستاذ الأساتذة الألى ... شغلت مآثرهم مدى الآفاق

فهذه شهادة اعتزاز و تقدير للمرأة حيث وضعها في مكانتها السامقة . ولكون الشاعر غير مشتطّ في دعوته لأنّه يعرف البيئة التي درج فيها لذلك نجده يحذّر من مغبّة السفور ونبذ القيم المثلى فقال : [2]

أنا لا أقول دعوا النّساء سوافرا ... بين الرجال يجلن في الأسواق

يدرجن حيث أردن لا من وازع ... يحذرن رقبته ولا من واقي

في دورهنّ شؤونهنّ كثيرة ... كشؤون ربّ السيف والمزراق

[1] حافظ إبراهيم، مرجع سابق ، ص282

[2] حافظ إبراهيم، مرجع سابق ، ص282

ولكي لايفهم أنصارُ المرأة وخاصة المرأة نفسها أنّ حافظا يرى وجوب التضييق على المرأة ولزوم بيتها فتظل حبيسةَ دارها أخذ حافظ يوضّح مقصده قائلاً:[1]

كلاّ ولا أدعوكم أن تُسرفوا ... في الحجب والتضييق والإرهاق

ليست نساؤكم حلى و جواهر ... خوف الضياع تصان في الأحقاق

ليست نساؤكم أثاثا يقتنى ... في الدور بين مخادع و طباق

تتشكل الأزمان في أدوارها ... دولا وهنّ على الجمود بواقي

واستنادا إلى القول الشائع " خير الأمور أوسطها " فإنّ الشاعر يرى في التوسّط في قضية المرأة طَوْق نجاة فقال : [2]

فتوسّطوا في الحالتين وأنصفوا ... فالشرّ في التقييد والإطلاق

ربّوا البنات على الفضيلة إنّها ... في الموقفين لهنّ خير وثاق

وعليكم أن تستبين بناتكم ... نور الهدى وعلى الحياء الباقي

[1] حافظ إبراهيم، مرجع سابق ، ص282

[2] حافظ إبراهيم، مرجع سابق ، ص283

ثانيا : حافظ وقضية الطفولة

إنّ موضوع الطفولة وحقوق الطفل من أهمّ القضايا التي شغلت بال الأدباء المصلحين فالأطفال غرسات المستقبل إذ أنّ في ضياعهم يصبح مصير الأمّة بيد من يعبث بها. ولقد أدرك حافظ إبراهيم خطورة هذه القضية فنظر إليها بنظرة ثاقبة مشحونة بعواطفَ جيّاشةٍ وبحماس فيّاض ، فجاء بَوْحُه متأجّجا ومُلمّا بجوانب هذه المشكلة داعيا المجتمع إلى إصلاح هذه الفئة خاصة فئة الأطفال المحرومين من أبسط ضروريات الحياة فقال:[1]

واكفلوا الأيتام فيه واعلموا ... أنّ كلّ الصيد في جوف الفرا

أيّها المثري ألا تكفل من ... بات محروما يتيما معسرا

كم طوى البؤس نفوسا لورعت ... منبتا خصبا لكانت جوهرا

كم قضى العدم على موهبة ... فتوارت تحت أطباق الثّرى

ففي هذه الأبيات استطاع الشاعر أن يبرز خلفيات إهمال الطفل ، فالبؤس و العدم واليتم لو اجتمعت على الأشدّاء لأَزْرَت بهم ، فكيف إذا كانت الضحيّة طفلا ،إذ بشقائه تفقد الأمّة الكثير من الكنوز المخبّأة في جوف هذا الطفل.

غير أنّه ما يلاحظ من هذه الأبيات أنّ الأسلوب العاطفي قد طغى فيها حيث راح الشاعر يستجدي الموسرين للالتفات إلى هذه الفئة المحرومة .ولعلّ مردَّ ذلك مرحلة الشّقاء والمعاناة التي قضاها الشاعر ينتظر عطف الأخرين فقال: [2]

ذُقت طعم الأسى وكابدت عيشا ... دون شربي قذاه شرب الحمام

فتقلبت في الشقاء زمانا ... وتنقلت في الخطوب الجسام

ومشى الهمّ ثاقبا في فؤادي ... ومشى الحزن ناخرا في عظامي

فلهذا وقفت أستعطف النّا ... س على البائسين في كل عام

[1] حافظ إبراهيم، مرجع سابق ، ص309

[2] حافظ إبراهيم، مرجع سابق ، ص 288

ولطالما دعا الشاعر إلى إصلاح الطفولة البائسة والاهتمام بالشريحة الضعيفة قائلا:[1]

أنقذوا الطفل إن في شقوة الطف ... ل شقاء لنا على كل حال

أنقـــذوه فربــما كــان فيـــه ... مصلح أو مغامر لا يبالي

ربما كان تحت طمريه عزم ... ذو مضاء يدكّ شم الجبال

ولأنّ مغبّة ترك الطفل للصعاب و الأهوال يجرّ الويلات على الأمّة مستقبلا فقال:[2]

إنْ يعش بائسا ولم يطوه البؤ... س يعش نكبة على الأجيال

رب بؤس يخبث النفس حتى ... يطرح المرء في مهاوي الضلال

فالشاعر في منهجه الإصلاحي يصوّر الحالة و يحدّد الأسباب ثمّ يتبعها بوصفة علاجية فالفقر والحرمان سببٌ، والتشرّد والسقوط في مهاوي الضلال نتيجةٌ . لكنّ الشاعر لم يفقد الأمل في مواجهة البأساء فالمرض ليس عضالا يستعصي على المصلح علاجه فقال:[3]

شاع بؤس الأطفال والبؤس داء ... لو أتيح الطبيب غير عضال

أيّدوا كلّ مجمع قام للـــب ... رّ بجاه يظلـــه أو بمـــال

فاصنعوا البرّ منعمين وجودوا ... أيّها القادرون قبل السؤال

ولم يفت الشاعر أن يعرّج إلى فئة أخرى من الفئات البائسة و هي فئة الأطفال أصحاب الإعاقات و خصّ بالذكر الأطفال الأكِفَّاء حيث أبرز الشاعر الحقوق العظيمة لهذه الفئة فقال: [4]

إنّ حقّ الضّرير عند ذوي الأبـ ... صارحقّ مستوجب التقديس

ثمّ بيّن الشاعر ما يخفّف عن الضّرير وحدته وعزلته

لم يضره فقدانه نور عينيـ ... ـه إذا اعتاض عنهما بأنيس

لكنّ الأنيسَ الّذي يقصده الشاعر ليس أنيسا بشريا وإنما هو أنيس خاص لايبتعد كثيرا

[1] حافظ إبراهيم، مرجع سابق ، ص311

[2] حافظ إبراهيم، مرجع سابق ، ص311

[3] حافظ إبراهيم، مرجع سابق ، ص311

[4] حافظ إبراهيم، مرجع سابق ، ص306

عن الجليس الّذي عناه أبو الطيب المتنبي في قوله "وخير جليس في الأنام كتاب " وعليه فالأنس بالعلم هو الّذي يخفّف عن الضرير ألم العزلة فقال:[1]

آنسوا نفسه إذا أظلم العيـ ... ش بعلم فالعلم آنس النفوس

وجهوه إلى الفلاح يفدكم ... فوق ما يستفيده من دروس

أكملوا نقصه يكن عبقريا ... مثل (طه) مبرزا في الطروس

و المتتبّع لديوان حافظ إبراهيم يجده حافلا بالدعوة إلى إصلاح حال الطفولة والاعتناء بشؤون الطفل لأنّه أملُ الأمّة وعدّةُ المستقبل يستوجب منا حياة كريمة بعيدة عن كل ما ينغّص حياته من فقر وجهل وخوف لذا يطمئن الشّاعر الطّفل قائلا:[2]

أيّها الطّفل لا تخف عنت الدهـ ...ر ولا تخش عاديات الليالي

[1] حافظ إبراهيم، مرجع سابق ، ص306

[2] حافظ إبراهيم، مرجع سابق ، ص310

ثالثا : حافظ واللّغة العربية

لقدافتتن حافظ إبراهيم أيّما افتتان بأدب اللّغة العامية مماجعله يحفظ الكثير من المواويل والأزجال ، وكان كعادته يُنشد محفوظاته في حماسة وإعجاب، إلاّ أنّ اتصاله بأستاذه الشيخ محمّد عبده كان منعرجا حاسما في حياته حيث وجّهه شيخُه إلى مناصرة اللّغة العربية والذَوْدِ عنها ،"واستمر حافظ ابراهيم ينافح عن اللّغة العربية ويطالب المصريين أن يتمسّكوا بها لدرجة أنّ أمير الشعراء أحمد شوقي عرف له ذلك فأثنى عليه قائلا:

يا حافظَ الفصحى وحارسَ مجدها ... وإمام من نجلت من البلغاء

مازلت تهتف بالقديم وفضله ... حتى حميت أمانة القدماء

خلفت في الدنيا بيانا خالدا ... وتركت أجيالا من الأبناء

وغدا سيذكرك الزّمان ولم يزل ... للدّهر انصاف وحسن جزاء"[1]

وإذا وقفنا عند قصيدته الماتعة على لسان اللّغة العربية والتي نشرها سنة 1903 نجد أنّ الّذي دفعه إليها تفطّنه لمكر بعض المغرضين ودعوتهم إلى هجر اللّغة العربية الفصحى وإحلال العامّية بدلها ، كما رأى من عمل المستعمر على إماتة اللغة الفصحى وبعث اللّغة الإنجليزية لتنفصل مصر عن غيرها من البلاد العربية .

والّذي حمل لواء هذه المكيدة رجال أمثال شبلي شميل و وليم ويلكوكس و غيرهما من بعض الانتهازيين الّذين يتبعون كلّ ناعق ، فبيّن حافظ ذلك قائلا:[2]

أيطربكم من جانب الغرب ناعب ... ينادي بوأدي في ربيع حياتي

أيهجرني قومي عفا الله عنهم ...إلى لغة لم تتصل بروّاة

سرت لوثة الإفرنج فيها كما سرى ... لعاب الأفاعي في مسيل فرات

[1] عبد المنعم إبراهيم الجميعي، شاعر النيل حافظ إبراهيم، مطابع الهيئة العامة للاستعلامات، 2012، ص 38

[2] حافظ إبراهيم ، مرجع سابق ، ص255

وكادت دعوتهم أن تؤتي ثمارها لولا أن قيّض الله للغة القرآن حرّاسا يدافعون عنها على رأسهم حافظ إبراهيم الّذي انبرى يدافع عنها دون كلل ولا ملل حيث كانت له اليد الطولى في استنهاض الهمم وإيقاظ الرأي العام ، يَحْذُوه في ذلك قناعته التي تضرب بجذورها إلى ما نادى به المصلحون من أمثال محمّد عبده و جمال الدّين الأفغاني و عبد الله النّديم بالاهتمام باللّغة العربية وتبيان محاسنها و مزاياها :

وسعت كتاب الله لفظا وغاية ... وما ضقت عن آي به وعظات [1]

ويستمر حافظ إبراهيم في قصيدته مبيّنا ثراء اللّغة العربية على الرّغم ممّا لاقت من عقوق أبنائها: [2]

رموني بعقم في الشباب وليتني ...عقمت فلم أجزع لقول عداتي

أنا البحر في أحشائه الدرّ كامن ... فهل سألوا الغواص عن صدفاتي

فاللغة العربية كما جاءت في التشبيه البليغ هي بحر يزخر باللآلئ التي تستعصي على الإنسان العادي الّذي يُسفّه هذه اللآلئ ويعتبرها حجرا مهملا ، ومنه يدعو الشاعر الإنسان العربيَّ إلى أنْ يكون بحّارا ماهرا يغوص في أعماق اللّغة لينتفع بها ويعتزّ بها كما اعتزّ الفرنجة بلغاتهم [3]

أرى لرجال الغرب عزّا ومنعةً ... وكم عزّ أقوامٌ بعزّ لغات

أتوا أهلهم بالمعجزات تفنُّنًا ... فيا ليتكم تأتون بالكلمات

ويستمر حافظ في دعوته الإصلاحية مستعملا أسلوب التقريع ولوم أبناء جلدته الّذين زهدوا في لغة الضّاد وعجزهم عن الإتيان بالمصطلحات فقال:[4]

فكيف أضيق اليوم عن وصف آلة ... وتنسيق أسماء لمخترعات

---

[1] حافظ إبراهيم، مرجع سابق ، ص 255

[2] حافظ إبراهيم، مرجع سابق ، ص 255

[3] حافظ إبراهيم، مرجع سابق ، ص 255

[4] حافظ إبراهيم، مرجع سابق ، ص 255

ويستمر حافظ في تبيان ثراء اللّغة وازورار أقطاب الأدب الحديث عنها وعدم قدرتهم على وصْف ما جدّ من المخترعات ، على حين استطاع البدويُّ أن يسبغ على ناقته أبلغ الصفات حيث قال في مقدّمة ترجمة البؤساء : " تباركت أسماؤك اللّهم ، أيُدعى البعير وهو ذلك المركب الخشن بهذه الأسماء التي تضيق عنها بطون الكتب ، وهذه مراكب البخار و الكهرباء لا نكاد نجد لأسمائها مرادفا في هذه اللّغة .... فخذوا أيّها القادرون على الإصلاح بيد اللّغة وانظروا كم أدخل فيها آباؤكم من كلمة فارسية ،وهذا كتاب الله بين أيديكم يأذن لكم بما ندعوكم إليه ، وهذا باب الاشتقاق وباب النّحت لا يزالان بحمد الله مفتوحين لم يصبْهما ما أصاب باب الاجتهاد فادخلوا منهما آمنين." [1]

والشيء الملفت للانتباه أنّ حافظا لم يكتفِ بالدّعوة إلى الإصلاح وإنّما قدّم حلولا عملية لذلك، حتّى يقطع السبيل على الذين يُنادون بالانسلاخ من العربية وقطع الصّلة بينها وبين أبنائها فباب الاشتقاق والنّحت متاح للمجتهد وليس لمن حاول طمسها فحذّره قائلا:[2]

فيا ويحكم أبلى وتبلى محاسني ... ومنكم وإن عزّ الدواء أساتي

فلا تكلوني للزمان فإنني ... أخاف عليكم أن تحين وفاتي

أرى كل يوم بالجرائد مزلقا ... من القبر يدنيني بغير أناة

وأسمع للكتاب في مصر ضجّة ... فأعلم أنّ الصائحين نعاتي

ومن دعائم الإصلاح أن يُعْلِيَ المصلحُ من شأن القدوة و قد أشار حافظ إبراهيم في قصيدته إلى أصحاب البيان في الأعصر الغابرة الّذين أقاموا صرح اللّغة العربية حتّى أصبحت شمسها تسطع على الغرب فقال: [3]

سقى الله في بطن الجزيرة أعظما ... يعزّعليها أن تلين قناتي

[1] مجلة أبولو، عدد خاص بحافظ إبراهيم، مطبعة التعاون، مصر، المجلد الأول، العدد الحادي عشر، 1933، ص 1320

[2] حافظ إبراهيم، مرجع سابق ، ص255

[3] حافظ إبراهيم، مرجع سابق ، ص255

حفظن ودادي في البلى وحفظــته ... لهنّ بقلب دائم الحســرات

وفاخرت أهلَ الغربِ والشرقُ مطرقٌ ... حياء بتلك الأعظم النخرات

وفي الأخير يوجّه الشاعر تحذيرا لمن يتقاعس في الدّفاع عن اللّغة العربية ويستبدل العامية بـها ،خاصـة " والدّعـوة إلى اللّهجة المحلية دعوة سهلة القبول ،لأنّها تبشّر سامعيها بالإعفاء من تكاليـف الفصـاحـة العربيـة ، وهـي تكاليف لا يقوى على حملها غير الأقوياء من أهل البيــان"[1] ، فقــال: [2]

إلى معشر الكتـاب والجمع حافــل ... بسطت رجائي بعد بسطِ شكاتي

فإمّا حياة تبعث الميت في البــلى ... وتنبت في تلك الرموس رفـاتي

وإمّا ممـات لا قيــامــة بعـــــــده ... ممات لعمـري لم يقس بممات

وفعـلا فإنّ موت اللّغة هـو مـوت للشعـوب وذوبـانـها " فإنْ لم تعاونوا على شفائها بعد وقوفكم علـى مكامـن دائـها فقد قضيتـم عليـها بالمـمـات وعلـى أنـفسكــم بالشّتــات " [3]

[1] زكي مبارك، مرجع سابق ، ص 257

[2] حافظ إبراهيم، مرجع سابق ، ص255

[3] حافظ إبراهيم، ليالي سطيح، مؤسسة هنداوي للتعليم والثقافة، القاهرة، مصر، 2012، ص 41

رابعا : وجوه أخرى من أوجه الإصلاح

زيـارة الأضـرحـــة :

لقد وقف الشاعر حافظ إبراهيم بالمرصاد أمام بعض العادات البالية التي تُظهر بجلاء مدى الانحطاط الفكري الّذي تعاني منه فئة من النّاس ، فهو ينتقد بشدّة زيارة الأضرحة وطلب المدد منها مستعملا أسلوبا تهكّميا ساخرا من أولئك الذي يحرمون أنفسهم ليرزقوا أمواتا فقال:[1]

أحياؤنا لا يرزقون بدرهم ... وبألف ألف تُرزق الأموات

من لي بحظ النائمين بحفرة ... قامت على أحجارها الصلوات

يسعى الأنام لها و يجري حوله ... بحر النذور و تُقرأ الآيات

ويُقال هذا القطب باب المصطفى ... و وسيلة تقضى بها الحاجات

ومما يلاحظ في نقده لهذه القضية أنّ الشاعر تطرق الى الجانب المادي حيث تُرزق الأموات وتُحرم الأحياء الّذين هم في أَمَسِّ الحاجة إلى المال غير أنّ الشاعر غفل عن قضية هي أكثر خطورة ألا وهي الشرك بالله بما يفعله زائرو الأضرحة.

ارتفاع الأسعار :

في الجانب الاقتصادي تبرّم الشّاعر من الوضع المزري الّذي تعاني منه الطبقة الكادحة فهي لاتستطيع أن تلبّيَ حاجاتها الضروريةَ بسبب غلاء الأسعار وتدنّي الدخل الفردي " ولأنّ حافظا يُدرك ما يفعل الفقر و الجوع إذا عزّ القوت ، وقف يهتف بأولي الأمر لمواجهة غلاء الأسعار الّذي تعرّضت له البلاد إبّان الحرب العالمية الأولى ، وصار يهدّد النّاس و أرواحهم."[2] وكم عانى الشاعر من آلام الفاقة وشظف العيش فلم يُطق رؤية شعبه في هذا الوضع فوجّه نداءه للمصلحين عسى أنْ يجد فيهم آذانا صاغية تصلح من

[1] حافظ إبراهيم، ديوان حافظ إبراهيم،الطبعة الثالثة، مطابع الهيئة المصرية للكتاب، مصر،1987، ص318

[2] السعيد محمود عبد الله، حافظ إبراهيم دراسة تحليلية لسيرته وشعره، دارالكتب، 1999، ص83

أحـوال النّــاس فقــال:[1]

أيّها المصلحون ضاق بنا العيـ ... ش ولم تُحسـنوا عليه القـياما

عـزّت السلعـةُ الذليلـة حتى ... بات مسح الحذاء خطبا جساما

وغدا القوتُ في يد الناس كاليا ... قوت حتّى نوى الفقير الصّياما

ثمّ يبـرز الشّـاعر معانـاة الفقيـر للحصـول علـى لقمـة العيـش قــائــــلا:[2]

يقطـع اليـوم طـاويـا ولــديـه ... دون ريح الـقتـار ريح الخزامـى

ويَخـالُ الرّغـيفَ في البعد بدرا ... ويظـنّ الـلـحوم صـيـدا حـرامـا

إنْ أصاب الرغـيفَ من بعد كدّ ... صاح:من لي بأن أصيب الإداما

ثـمّ يـواصـل الشّـاعـر دعـوتـه الإصلاحيـة مُـوجّـها نـداءه للمـرّة الثانية للمصلحيـن قائلا:[3]

أيّها المصلـحون أصلحتم الأر ... ض وبـتم عن النفـوس نيـاما

أصلحوا أنفسا أضــرّ بها الفقـ ... ـر وأحيـــا بمـوتها الآثــامـــا

ليس في طوقها الرحيل ولا الجـ ... ـد ولا أن تـواصــل الإقــدامـــا

و يتعجّـب الشّـاعـر من حال المصريين وقد أنهكهم العطـشُ والنّيل بقربـهـم يروي النّاس وكــأنّ الشّــاعــر يستحـضــر بيـت القــائــل:

كالعيس في البيداء يقتلها الظما ... والماء فوق ظهورها محمول

فحـالُ المصريين الفقـراء لايبـعد كثيرا عـن حـال هذه الإبل التي هلكت في الصحراء عطشا فقـال حـافـظ إبـراهـيـم يخــاطــب النّيــل:[4]

أيّها النّيلُ كيف نُمسي عطاشا ... في بلاد روّيت فيها الأناما

ويجدّد الشاعر نداءه لعلّه يجد آذانا صاغية وقلوبا رحيمة تُشفق على هؤلاء المساكين قائلا:

---

[1] حافظ إبراهيم، مرجع سابق ، ص316

[2] حافظ إبراهيم، مرجع سابق ، ص316

[3] حافظ إبراهيم، مرجع سابق ، ص316

[4] حافظ إبراهيم، مرجع سابق ، ص317

أيّها المصلحون رفقا بقوم ... قيّد العجزُ شيخَهم والغلامَا

وأغيثوا من الغلاء نفوسا ... قد تمنّت مع الغلاء الحماما

أوشكت تأكل الهبيد من الفقـ ... روكادت تذود عنه النعاما

قد شقينا ونحن كرّمنا الله ... بعصر يكرّم الأنعاما

وممّا يلاحظ في هذه القصيدة كثرة ورود أسلوب النّداء لأنّها تعبّر عن زفرة مكلوم عزّ عليه رؤية قومه وهو يعيش حياة بائسة.

الدّعوة إلى الاتحاد :

ولم ينس حافظ أن يتطرّق إلى قضية الاتحاد وتوحيد الكلمة ونبذ الاختلاف والتخاذل، لأنّ هذه الدّعوةَ من أهمّ دعوات الإصلاح التي تبناها المصلحون منذ غابر الزمان ، وأيّ إصلاح يمكن أن تظهر ثمراته إذا تفرّقت الأمّة أيادي سبأ فقال:[1]

ويدُ الإله مع الجماعة فاضربوا ... بعصا الجماعة تظفروا بنجاح

ودعوا التخاذل في الأمور فإنّما ... شبح التخاذل أنكر الأشباح

والله ما بلغ الشقاء بنا المدى ... بسوى خلاف بيننا و تلاحي

وقد تتعرض الأمّة إلى خطر الأعداء الخارجيين جرّاء تشرذمهم ، لهذا بيّن حافظ إبراهيم ضرورة نبذ التلاحي المبني على سوء الظّويّة فالظنّ أكذب الحديث قال حافظ :[2]

أساء بعض الناس في بعضهم ... ظنّا وقد أمسوا وقد أصبحوا

فانتهزت أعداؤنا نهزة ... فينا وما كانت لهم تسنح

فالرأي كلّ الرأي أن تجمعوا ... فإنّما إجماعكم أرجح

وكلّ من يطمع في صدعكم ... فإنّه في صخرة ينطح

[1] حافظ إبراهيم، مرجع سابق ، ص416

[2] حافظ إبراهيم، مرجع سابق ، ص411

بناء الجامعة :

في سنة 1908 راودت مصرَ فكرةُ تأسيس جامعة علمية وتَطَلّع المخلصون إلى إنشاء هذا الصرح العلمي للارتقاء بالنّاس علميا واقتصاديا وصحيا وثقافيا ، ولقد اكتنف هذا المشروعَ جدلٌ طويلٌ فمنهم مَنْ كان يعارض هذه الفكرة بإيعاز من المحتلّ الإنجليزي الّذي لم يَرُقْه هذا السعيُ ، فهو لايريد خيرا للبلاد زاعما أنّ مصرَ في غنى عن تحقيق هذا المشروع بقدر ما هي في حاجة إلى التكثيف من نشر التعليم الأوليّ بالإكثار من الكتاتيب ، كما أنّ وجود الهياكل الجامعية سببٌ في ارتقاء التعليم وانتشار الوعي وهذه دعامة صلبة في استثارة التيار التحرري ، لهذا راح الإنجليز يقاومون هذه الفكرةَ " بدعوى أنّ عقول المصريين غيرُ مهيّئة لاستيعاب علوم العصر، وبدلا من الجامعة حثّوا على نشر المزيد من الكتاتيب في مدن وقرى مصر."[1]

إلاّ أنّ مَزاعم المعارضين باءت بالفشل والخيبة حيث أصرّ المصلحون على تحقيق مطلبهم منهم حافظ إبراهيم الّذي رفع عقيرته محذّرا من مخطط الإنجليز ومبيّنا عجز هذه الكتاتيب على الارتقاء بأحوال النّاس لأنّها تقدّم تعليما ناقصا فقال:[2]

هَبُوا الأجير أو الحراث قد بلغا ... حد القراءة في صحف وفي كتب
من المداوي اذا ما علّة عرضت ... من المدافع عن عرض وعن نشب
ومن يروض مياه النّيل إن جمحت ... وأنذرت مصر بالويلات والحرب
ومن يوكل بالقسطاس بينكم ... حتّى يرى الحقّ ذا حول وذا غلب
ومن يطل على الأفلاك يرصدها ... بين المناطق عن بعد وعن كثب
ومن يبز أديم الأرض ما ركزت ... فيها الطبيعة من بدع ومن عجب
يظلّ ينشد من ذراتها نبا ... ضنت به الأرض في ماض من الحقب
ومن يميط ستار الجهل إن طمست ... معالم القصد بين الشك والريب

[1] السعيد محمود عبد الله، حافظ إبراهيم دراسة تحليلية لسيرته وشعره، دارالكتب، 1999، ص88

[2] حافظ إبراهيم، مرجع سابق ، ص266

فالتعليم الابتدائي والمتمثل في الكتاتيب لايمكنها أنْ تُكَوّنَ الأطبّاء والمهندسين والضبّاط والخبراء ولا رجال القانون ، ولا يمكن أنْ تستقيم الحياة بدون هذه الشرائح الاجتماعية وعليه أخذ الشّاعر يحثّ الأمّة على هذا المشروع قائلاً:[1]

فما لكم أيّها الأقوام جامعة ... إلاّ بجامعة موصولة السبب

وبيّنوا لرجال الغرب أنّكم ... إذا طلبتم بلغتم غاية الطلب

وبما أنّ مشروعَ إنشاء جامعة مشروعٌ استراتيجيٌّ فلا بدّ من غلاف مالي معتبر يتطلب تظافر الجهود فشمّر الأغنياء عن ساعد الجدّ فتبرعوا بأموالهم ، وقد اهتبل شاعرنا هذه الفرصة ليصدح بحنجرته الجهيرة محفزا النّاس على ضرورة تدعيم هذا الصّرحِ العلمي فقال:[2]

حيّاكم الله أحيوا العلم والأدبـــا ... ان تنشروا العلم ينشر فيكم العربا

ولا حياة لكم إلاّ بجامعـــــــة ... تكون أمّا لطلاّب العــلا وأبـــا

تبني الرجال وتبني كل شاهقة ... من المعالي وتبني العزّ والغلبا

ضعوا القلوب أساسا لاأقول لكم ... ضعوا النضار فإني أصغر الذهبا

وابنوا بأكبادكم سورا لها ودعوا ... قيل العدوّ .فإنّي أعرف السبـــبا

لاتقنطوا إن قرأتم ما يزوّقــه ... ذاك العميد .ويرميكم به غضبا

وراقبوا يوم لاتغني حصائده ... فكلّ حيّ سيجزى بالّذي اكتسبا

وجاوبوه بفعل لايقوّضـــــه ... قول المفند أنّى قال أو خطبا

لاتهجعوا..إنّهم لن يهجعوا أبدا ... وطالبوهم ..ولكن أجملوا الطلبا

ولقد دعا حافظ إبراهيم إلى حمل القضية محمل الجدّ وذلك بالإسهام الفعلي وعدم الاكتفاء

[1] حافظ إبراهيم، مرجع سابق ، ص267

[2] حافظ إبراهيم، مرجع سابق ، ص272

بالقول واستعان في دعوته الإصلاحية بضرب أمثلة في أسلوب قصصي مدركا أثر القصة في نفسية المتلقي وهذا دَيْدَنُ كلّ من انتهج سبيل الإصلاح، فعلى المصلح أن يعرض القصص ممّا يكون فيه عبرة للنّاس فهي تسهم في تحريك القلوب وإغراء النفوس بأن تسلك المسلك السليم وتجتنب بُنَيَّات الطريق ،وممّا ورد في ديوان الشاعر وهو يحثّ على إنجاز مشروع الجامعة والتبرّع بالمال حيث قال: [1]

هذا هو الأثر الباقي فلا تقفوا ... عند الكلام إذا حاولتم أربا

ودونكم مثلا أوشكت أضربه ... فيكم وفي مصر إن صدقا وإن كذبا

سمعت أنّ امرأ قد كان يألفه ... كلبٌ فعاشا على الإخلاص واصطحبا

فمرّ يوما به والجوع ينهبه ... نهبا فلم يبق إلاّ الجلد والعصبا

فظلّ يبكي عليه حين أبصره ... يزول ضعفا ويقضي نحبه سغبا

يبكي عليه وفي يمناه أرغفة ... لو شامها جائع من فرسخ وثبا

فقال قوم وقد رقوا لذي ألم ... يبكي وذي ألم يستقبل العطبا

ما خطب ذا الكلب قال الجوع يخطفه ... مني وينشب فيه الناب مغتصبا

قالوا وقد أبصروا الرغفان زاهية ... هذا الدواء فهل عالجته فأبى

أجابهم ودواعي الشحّ قد ضربت ... بين الصديقين من فرط القلى حجبا

لذلك الحدّ لم تبلغ مودّتنا ... أما كفى أن يراني اليوم منتحبا

هذي دموعي على الخدين جارية ... حزنا وهذا فؤادي يرتعي لهبا

فبعد أن عرض حافظ إبراهيم هذا المثل أخذ يحذّر قومه من أنْ يكون حاله كحال صاحب الكلب فَيُوؤَد مشروعُ الجامعة فقال: [2]

أقسمت بالله إن كانت مودتنا ... كصاحب الكلب ساء الأمر منقلبا

[1] حافظ إبراهيم، مرجع سابق ، ص274

[2] حافظ إبراهيم، مرجع سابق ، ص274

أعيذكم أن تكونوا مثله فنرى ... منكم بكاء ولا نلفي لكم دأبا

إن تقرضوا الله في أوطانكم فلكم ... أجر المجاهد . طوبى للذي اكتتبا

وبعد أن حث حافظ إبراهيم قومه على بناء الجامعة وإنفاق المال في سبيل ذلك أعلن إسهامه في هذا العمل الجليل بما جادت به قريحته حيث قال: [1]

هذا هو العمل المبرور فاكتتبوا ... بالمال إنّا اكتتبنا بالأدب

[1] حافظ إبراهيم، مرجع سابق ، ص268

خاتمة

اختار الشاعر حافظ إبراهيم لنفسه ولشعره طريق الكفاح والدّعوة إلى الإصلاح وأنف أن يجعل من شعره وسيلة لهو وترف أو أداة كسب وانتفاع وشهرة زائلة .

بل اختطّ حافظ لنفسه منهجا قوامه الرقيّ بالفكرة والأسلوب والاحتكاك بالشعب ومشاركته آلامه حتّى يتسنى له أنْ يُعبّر عن قضايا أمّته أبلغ تعبير، ومن خلال بحثي هذا توصّلت إلى بعض النتائج منها :

- حافظ إبراهيم من شعراء مدرسة الإحياء، والّتي من أبرز سماتها جزالةُ الألفاظ ومتانةُ العبارة ووضوح الفكرة مع تصوير دقيق لقضايا المجتمع.

بَيْد أنّ حافظ إبراهيم انفرد عن بقيّة الشعراء بأنّه وُفق إلى صدق التصوّير للحياة الشعبية لأنّه نشأ في مجتمعه وخبر فيه مرارة العيش فكان شعرُه صادقَ اللّهجة بعيدَ التأثّر.

- قصائد حافظ ليست إلاّ انعكاسا لتجربته في الحياة .

- بُعدُ النّظر الّذي ينطلق منه حافظ غالبا ما ينحو إلى القضايا الكبرى التي تمرّ بها أمّتُه، ما بين واقع متردٍّ وتشوّف لمستقبل زاهر لا يتأتّى إلاّ بكسر الأغلال وتجاوز الأزمات .

- تأمّلات حافظ إبراهيم في الحياة تندرج ضمن المحاور الآتية :

. الشكوى والأسى عندما تَدْلَهِمُّ المصائب بالأمّة.

. الحيرة والقلق تجاه قضايا العالَم.

. أخذ العبرة والعظة من غابر الأمم السابقة.

. مقارنة ماضي الأمّةِ المُشرِق بحاضرها المزري.

. تقلّب أحوال الدّنيا وتغيراتها وصعوبة الحياة الاجتماعية.

- يعتبر حافظ من أشدّ النّاس حرصا على اقتناء اللّفظ وتذّوق الجرس الموسيقي الّذي يقع في الأذن لذلك امتاز معجمه الشّعري بالثّراء اللّغوي المتنوع، الّذي إن دلّ على

شـيء فإنّما يـدلّ علـى تحكّم الشّـاعر بنـاصيـة اللغة وقدرته على خلق أنساق تعبيريـة بليغـة ولا عـجـب فـي ذلك فالشّـاعـر يـمـلك حـافظـة قـوّيـة أشـاد بـها معـاصـروه .

– ترتكزاللّـغـة الأدبيـة لحافظ إبراهيم على إحياء القديم من الألفاظ التي طـال العهد بينها وبين النّاس فلـم تعد من الكلمات المتداولـة، ولعـلّ ما كان يرمـي إليـه حافـظ من خـلال هـذا الاستحضار اللّغوي التلـيد هـو محاولة ربـط حاضر الأمّة بماضيها، ثم إنّ هذه الصفة غالبة عليه بسبب تكوينـه التقليـدي التـراثـي الّـذي صـار فيـه طـبعا بعيدا عن التصنّع والتكلّـف.

قائمة المصادر والمراجع

القـرآن الكريـم برواية حفص عن عاصم.

المصـادر:

1-حافظ إبراهيم : ديوان حافظ إبراهيم ، ضبطه وصححه وشرحه ورتبه أحمد أمين ، أحمد الزين ، إبراهيم الأبياري ، الهيئة المصرية العامة للكتاب ، الطبعة الثالثة ، 1987 .

المراجـع :

2-إبراهيم النجار : شعراء عباسيون منسيون ، دار الغرب الإسلامي ، بيروت، لبنان، الجزء الثاني، 1997

3- أبوالفرج الأصفهاني علي بن الحسين : كتاب الأغاني، دار إحياء التراث العربي، بيروت، لبنان، الطبعة الأولى ،1994 ،الجزء 13، الجزء 17.

4- أحمد شوقي:الشوقيات، مؤسسة هنداوي للتعليم والثقافة، القاهرة، مصر، 2012.

5- أنور الجندي : من أعلام الفكر والأدب ، الدار القومية للطباعة والنشر ، د. ت

6- إيليا أبوماضي : ديوان إيليا أبوماضي ، دار العودة ، بيروت ، د. ت

7- بدوي أحمد طبانه : معروف الرّصافي دراسة أدبية لشاعر العراق وبيئته السياسية والاجتماعية ، مطبعة السعادة بجوار محافظة مصر ، الطبعة الأولى ، 1947 .

8- ابن الرّومي : ديوان ابن الرّومي ، الطّبعة الثالثة ، شرح أحمد حسن بسج ، دار الكتب العلمية ، بيروت ، لبنان ، الجزء الأول والثاني ، 2002 .

9- حافظ إبراهيم : ليالي سطيح ، مؤسسة هنداوي للتعليم والثقافة ، القاهرة ، مصر ، 2012

10- خليل مطران : الأعمال الشعرية الكاملة ، جمع وترتيب ومراجعة وتقديم أحمد درويش مؤسسة جائزة عبد العزيز سعود البابطين للإ بداع الشعري ، الكويت ، الطبعة الأولى 2010 .

11- زكي مبارك : رسالة الأديب ، منشورات وزارة الثقافة ، دمشق ، سوريا ، 1999 .

12- زهيربن أبي سُلمى : ديوان زهيربن أبي سُلمى، تقديم علي حسن فاعور ، دار الكتب العلمية ، بيروت ، لبنان، 1988 .

13 -السعيد محمود عبد الله ، حافظ إبراهيم دراسة تحليلية لسيرته وشعره ، دار الكتب ، 1999

14- شوقي ضيف : الأدب العربي المعاصر في مصر ، دار المعارف ، مصر ، الطبعة العاشرة ، 1992 .

15- طه حسين : حافظ وشوقي ، مكتبة الخانجي ، القاهرة ، مصر ، د. ت

16- عباس محمود العقاد : شعراء مصر وبيئاتهم في الجيل الماضي ، مكتبة النهضة المصرية ، القاهرة ، مصر ، 1937 .

17- عبد المنعم إبراهيم الجميعي : شاعر النيل حافظ إبراهيم ، مطابع الهيئة العامة للاستعلامات ، 2012 .

18- عبد الناصر محمد السعيد : مدح السّاسة والحكّام بين حافظ والزبيري ، دار الكتب ، 1996 .

19- عروة بن الورد : ديوان عروة بن الورد، تحقيق أسماء أبوبكر محمد، دار الكتب العلمية، بيروت، لبنان، 1998 .

20- عمر الدُّسوقي : نشأة النثر الحديث وتطوره ، دار الفكر العربي ، القاهرة ، مصر ، 2007 .

21- فيكتور هوجو : البؤساء ، تعريب حافظ إبراهيم ، مكتبة ابن سينا ، القاهرة ، مصر ، 2014 .

22- كعب بن معدان الأشقري : شعر كعب بن معدان الأشقري، الطبعة الأولى ، تحقيق أحمد محمد عبيد ، دار الكتب الوطنية ، أبوظبي، الإمارات العربية المتحدة ،2010.

23- المجلس الأعلى لرعاية الفنون والآداب : حافظ إبراهيم مهرجان حافظ بالإسكندرية ، المطبعة الأميرية ، القاهرة ، مصر ، 1957 .

24- محمد محمد حسين : الاتجاهات الوطنية في الأدب المعاصر ، المطبعة النموذجية ، الحلمية الجديدة ، الجزء الأول ، الطبعة الثالثة ، 1980 .

25- محمد العيد آل خليفة : ديوان محمد العيد آل خليفة ، دار الهدى ، عين مليلة ، الجزائر ، 2010 .

26- معروف الرّصافي : ديوان معروف الرّصافي ، مراجعة مصطفى الغلاييني ، مؤسسة هنداوي للتعليم والثقافة ، مصر ، 2014 .

27- معن بن أوس : ديوان معن بن أوس ، صنعة نوري حمودي قيسي، مطبعة دار الجاحظ ، بغداد ، العراق ، 1977 .

28- يحي بن شرف الحزامي النووي : شرح صحيح مسلم ، المطبعة المصرية بالأزهر ، الطبعة الأولى ، الجزء الثاني ، 1929.

المعاجـم والقـواميـس :

29- بدر الدين بن تريدي : قاموس التربية الحديث عربي إنجليزي فرنسي ، منشورات المجلس الأعلى للّغة العربية ، الجزائر ، 2010 .

30- محمد بن مكرم جمال الدين بن منظور : لسان العرب، دارالمعارف،القاهرة ،مصر.

المجلاّت :

31- مجلّة أبولو : عدد خاص بحافظ إبراهيم ، مطبعة التعاون ، مصر، المجلّد الأول ، العدد الحادي عشر ، 1933 .

الأطروحات والرسائل الجامعية :

32- تغريد وضّاح مصطفى كوني ، المجتمع المصري في شعر شمس الدين بن دانيال الموصلي ، رسالة ماجستير ، إشراف رائد مصطفى عبد الرحيم ، جامعة النجاح الوطنية ، نابلس ، فلسطين ، 2013.

33- نيفين محمد شاكر عمرو، السخرية في الشعر في العصر المملوكي الأول، رسالة ماجستير، إشراف علي عمرو، جامعة الخليل، 2009.

فهرس الموضوعات

فهرس الموضوعات

مقدمة .....ص. أ

الفصل الأول : دعوات الإصلاح في الأدب العربي ص04

أولا : ماهيةالإصلاح.....ص05

ثانيا : الشعر الإصلاحي قبل عصر النهضة ص10

ثالثا : الشعر الإصلاحي في عصر النهضة ص16

الفصل الثاني : حافظ إبراهيم، حياته وآثاره. ص24

أولا : المولد والنشأة ص25

ثانيا : الوفاة ص28

ثالثا : مؤلفات الشاعر ص30

الفصل الثالث : قضايا الشعر الإصلاحي عند حافظ إبراهيم.....ص36

أولا : حافظ وقضية المرأة ص39

ثانيا : حافظ وقضية الطفولة ص43

ثالثا : حافظ واللغة العربية ص46

رابعا : وجوه أخرى من أوجه الإصلاح ص50

خاتمة..... ....ص58

ملخّص :

إنّ التوجّه الإصلاحي لحافظ إبراهيم يحمل في طيّاته رغبة ملحّة في إحداث تغيير في البنى النظرية التي تستند إليها التوجّهات الهدّامة في المجتمع، وإحداث تغيير في الواقع الإجتماعي الذي ابتعد عن جادة الصواب من أجل النهوض بأمّة قويّة في وقت بلغ فيه التخاذل و الشعوذة و الجهل و الفقر أوجه خاصة بتشجيع من الاحتلال الغربي الغاشم.

ومن ثم فإن النهوض بالأمّة يتطلب من الخطاب الإصلاحي أي يأخذ بعين الاعتبار الكثير من عناصر الواقع الاجتماعي الذي يشكو من خلل في مختلف قطاعاته.

الكلمات المفتاحية : الإصلاح ، الشعر الإصلاحي ، القضايا الاجتماعية .

Résumé :

L’approche réformiste de Hafez Ibrahim traduit une volonté urgente de modifier les structures théoriques sur lesquelles sont fondées les tendances destructrices de la société et de modifier la réalité sociale, qui s’est écartée de la justesse de la droite pour promouvoir une nation forte à la stupidité, La pauvreté est particulièrement encourageante du fait de la brutale occupation occidentale

Par conséquent, l'avancement de la nation nécessite un discours de réforme qui prend en compte de nombreux éléments de la réalité sociale, qui se plaint d'un déséquilibre dans divers secteurs

Mots-clés: réforme, poésie réformiste, questions sociales.